

علاقات حضارية سلمية متبادلة بين المسلمين والصليبيين خلال الحروب الصليبية 492-690هـ/1095-1291م

خالد سليمان الشريدة*

ملخص

بحثنا واستقينا المعلومة في هذه الدراسة الاجتماعية الجادة في الجوانب الحضارية والعلاقات المتبادلة بين الطرفين: الإسلامي والصليبي، من مختلف المصادر الأصلية والدراسات الثانوية، من خلال أسس التواصل الحضاري بين المسلمين والصليبيين خلال الحملات الصليبية على بلاد الشام، وكان للأمير المؤرخ أسامة بن منقذ المعاصر لهذه الحرب المتوفى سنة 584هـ/1188م، ثم المؤرخ الصليبي وليم الصوري المتوفى سنة 1185م/581هـ، وفوشيه الشارترتي المتوفى في 12م/6هـ، والرحالة ابن جبير المتوفى سنة 614هـ/1218م، وابن شداد المتوفى سنة 632هـ/1234م، ممن عاصر هذه الحرب إثراء وتمعن أكثر من غيرهم في هذا الجانب الاجتماعي، من حيث التعايش والتواصل والتفاهم بين مختلف العناصر السكانية التي شكلت المجتمع الشامي خلال الحروب الصليبية، وأوحت بغلبة صفة السلم لا الحرب على هذه العلاقة، والتأثر والتأثير بالآخر بين الطرفين المسلم والصليبي من خلال لغة مشتركة، ووسائل تخاطب متفاهم عليها بالاحتكاك، وتزواج ومصاهرة بين هذه الأطراف أحياناً، وأثر ديانة ومعتقد الطرفين في بعضهما البعض.

الكلمات الدالة:.

المقدمة

وربما لم تكن الحرب هي الحل الحاسم في غلبة طرف على طرف آخر، فيقول صلاح الدين الأيوبي مخاطباً جيوشه بعد تحرير مدينة القدس سنة 583هـ/1187م: "لا تظنوا أنني قد فتحت البلاد بسيوفكم بل بقلم القاضي الفاضل"⁽²⁾ وترك هذا كله أثراً لا زال ماثلاً للعيان في هذه الثقافة الأكثر فراغاً في يوميات أفرادها من عادات وتقاليدهم ومبادئهم، فيقول المؤرخ الإفرنجي المعاصر أثرت في معتقداتهم ومبادئهم، فيقول المؤرخ الإفرنجي المعاصر فوشيه الشارترتي Foucher de Charters: "نحن كنا غربيين وأصبحنا الآن شرقيين بمعنى الكلمة"⁽³⁾.

فالصليبيون القادمون منهم من كان رومياً، ومنهم من كان إفرنجياً، فتحولوا مع الأيام في هذه البلاد الشامية إلى جليلي وفلسطيني ودمشقي وشامي الهوى بثقافته المكتسبة، وهذا ما دعانا من قبل إلى تناول فترات السلم هذه بوجهتها الاقتصادية والإدارية، وتفاعلاتها الإنسانية الحضارية، وتأثيرها في بحث آخر قد نشرناه من قبل، ومثل بالتفصيل هذه العلاقة والإدارة المشتركة للمناطق الحدودية بين الطرفين الإسلامي والصليبي⁽⁴⁾ وهذا ما عبر عنه العالم جيزو Guizo بالقول: "من الطريف أن ننتبين في كتب التاريخ القديمة شعور المسلمين نحو الصليبيين، فإنهم كانوا ينظرون إلى هؤلاء الأوربيين البرابرة وكأنهم أكثر الناس غلظة وغباوة، وأقلهم مدنية وتهذيباً... أما الصليبيون فقد أدهشهم ما رأوه عند المسلمين من ثروة ومدنية

تفيض المصادر التاريخية بذكر حالات التفاعل الإنساني المتكررة بين المسلمين والصليبيين، وإن كان الأغلب سرد حالة الحرب والتفاعل العسكري بين الطرفين خلال قرنين من الزمان، ولكن هذا الذكر لم يوصلنا إلى مدى التأثير والتأثر بالآخر بقرنين من الزمان، عاشتهما العناصر السكانية المختلفة على الأرض الشامية، فمما لا شك فيه أن حقبة السلم قد تجاوزت لحظات الحرب بكثير في مراحل هذه الحقبة الزمنية؛ فحدث تعايش وتقارب وحوار وتفاهم وتعاون بينهما، وكان هناك صلات وتواصل بين الأطراف المتنازعة حتى عجز الطرفان عن تمييز أنفسهما أحياناً عن الآخر المعادي في بعض المواقف، وخاصة العسكرية منها على حد رواية بعض المصادر، فيذكر أن الأيوبيين قد استعانوا بالصوفية والرهبان كعيون لهم عند الطرف الآخر، دون تمييز لهم من قبل الجند الصليبي⁽¹⁾، وكان هذا الاحتكاك مدعاة لذلك التفاعل والأخذ عن الآخر، وربما تمثل التوجه الحضاري بغلبة حضارة طرف على حساب طرف آخر خلال هذا التفاعل السلمي الإنساني،

* مجلس أبو ظبي للتعليم، الإمارات العربية المتحدة، الإمارات. تاريخ استلام البحث 2015/3/16، وتاريخ قبوله 2016/1/3.

من اليعاقبة والأرمن واليونان والجورجيين والإفرنج، وهكذا كانت مدينتا إنطاكية وطرابلس كذلك⁽¹⁸⁾، وكان الوضع الاجتماعي في مدينة عكا بعد سقوط مدينة القدس بيد الصليبيين كما ذكر "عكا شوارعها تغص بالزحام وتضيق فيها مواطئ الأقدام"⁽¹⁹⁾، وربما كان المسلمون في ذل ومسكنة في معايشة هؤلاء الإفرنج أحياناً⁽²⁰⁾.

ويبدو أن الديمغرافية السكانية لم تتغير فقط بتلك العناصر السكانية الغربية القادمة، فقد رافق هذه الحملات قديم عناصر إسلامية غير عربية إلى ممالك بلاد الشام ولا سيما الأكراد والأتراك والفرس، ولكل من هؤلاء عاداته وتقاليده، حيث جاؤوا للمشاركة في واجبه الديني الإسلامي الجهادي بالدفاع عن حدود العالم الإسلامي وأقاموا برفقة عائلاتهم في هذه المنطقة⁽²¹⁾، ويبدو أن هذا التجانس من عدمه قد منع وأخرّ القوى الإسلامية في تحقيق نصر سريع وأكد ضد القوى الصليبية المحتلة للأرض الشامية⁽²²⁾، وإن كان هذا فقد شكل المسلمون الأغلبية السكانية في المناطق الريفية القروية الخاضعة للحكم الصليبي⁽²³⁾، وربما أُجبر هؤلاء القرويون على التعايش مع غيرهم في هذه المناطق⁽²⁴⁾، وهكذا القبائل البدوية المتنقلة وراء الكأ والماء التي وظفت سيوفها أحياناً لمن دفع لها الأجر سواء كان هذا الطرف إسلامياً أو صليبياً⁽²⁵⁾، وشارك مثل هؤلاء البدو صلاح الدين الأيوبي في التجسس والكمائن ضد القوى الصليبية⁽²⁶⁾، ويبدو أن هذه الفئات كانت أكثر تأثراً بالثقافة الصليبية الدخيلة من غيرها⁽²⁷⁾.

وكانت تلك الفئات السكانية القادمة إلى الأرض الشامية من مختلف البلدان الأوروبية، والتي لا تجمعها لغة وعادات وتقاليدهم وقيم مشتركة فاختلفت أممها باختلاف لغتها، وإن كان معظمهم من الفرنسيين الذين شكلوا تسعين بالمئة من رجال هذه الحملات الصليبية؛ لذا أطلق المسلمون على الصليبيين مفهوم الإفرنج وأطلق هم على أنفسهم لقب الإفرنج كذلك⁽²⁸⁾، فيقول المؤرخ الصليبي وليم الصوري (William of Tyr) المتوفى سنة 1185م/581هـ بما رآه في مدينة القدس في هذا السياق: "إن الملك رأى أن عدد الناس في بلدنا قليل للغاية، وأنهم لا يكادون يملأون شارعاً واحداً، فأقدم على إتاحة الفرصة لسكان القرى المسيحية المجاورة لكي يجيئوا للاستقرار في المدينة بشروط معقولة، وجاء هؤلاء بزوجاتهم وأطفالهم بأعداد كبيرة وبكامل أمتعتهم"⁽²⁹⁾، وهذا بلا شك بعد المذبحة المروعة التي أقدم عليها الصليبيون بحق الجماعات الإسلامية في مدينة القدس خاصة سنة 492هـ/1095م، وتتوالت الروايات بذكر تفاصيل هذه المذبحة⁽³⁰⁾، حتى وصف مجموع المؤرخين الجنود الإفرنج بعد هذه الحادثة بانعدام الإنسانية والوحشية والبربرية، مقارنة

وخلق كريم، ثم تبع ذلك صلات ود عديدة بين المسلمين والصليبيين امتد أثرها وأصبحت أعظم شأنًا مما يظن عادة⁽⁵⁾.

العناصر السكانية المتواجدة في ممالك بلاد الشام:

العناصر العربية المسلمة مثلت أغلبية سكان الممالك الشامية خلال الحروب الصليبية، وإن كان المسلمون أقلية سكانية في بعض المناطق⁽⁶⁾، ولم يكن لهذه العناصر السكانية مشاركة في القيادة العسكرية إلا على نطاق محدود⁽⁷⁾، ومثلت التركيبة السكانية في بعض المناطق طبيعة فسيفسائية مختلفة⁽⁸⁾ كالمغاربة وبنو كلاب وقبائل طي من بني ربيعة وبنو فضل وبنو كلب وبنو عمار وبنو منقذ وبنو كنانة وبنو حوير وبنو خالد وبنو عقبة وبنو زهير وبنو عوف والتوخيين، وأتراك وتركماني وأكراد وأرناؤة وأتابكة⁽⁹⁾، وكانت الجاليات الصليبية على قتلها ربما أكثر انصياعاً لتقاليد الشرق وثقافته، وهذه الفئات الاجتماعية بالإضافة للجنود والفرسان تضم الحجاج والمحاربين القراصنة وطريدي القانون والتجار ورجال الدين والنبلاء الجوعى لثروة وغذاء الأرض الجديدة، ثم قدوم آخرون من مختلف فئات المجتمع الأوروبي⁽¹⁰⁾، وربما كانت هناك ثقافة اجتماعية مشتركة في بعض عناصرها بين أبناء المجتمع الإسلامي الصليبي الجديد فكانت تجمعهم عبارات متشابهة مثل te deum loudmas أي نحمد لك يا الله، وعبارات أخرى مشتركة⁽¹¹⁾، ويذكر المؤرخ فوشيه Foucher de Charters أن أجناس العناصر السكانية في ممالك بلاد الشام كانت من العرب والأتراك والأحباش واليونان والسريريان والمستوطنين الفرنسيين والإنجليز والإيطاليين⁽¹²⁾، وقدّر عدد السكان في هذه الممالك في مرحلة الحملات الصليبية بمليونين وسبعمائة ألف نسمة حسب تقديرات بعض الباحثين⁽¹³⁾، وبهذا التنوع العرقي تنوعت الديانات السائدة في المنطقة⁽¹⁴⁾، ثم تقلصت النسبة السكانية بسبب الهجرة المعاكسة والمذابح التي أقدم عليها الصليبيون في المنطقة⁽¹⁵⁾، وخاصة بين الفئات العسكرية المسلمة مما اضطر الأتابك عماد الدين زنكي إلى فرض التجنيد الإجباري في ممالك الشام؛ لمواجهة الأخطار المحيطة بدولته في سابقة لم يتقدمه إليها إلا الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وإن ظل التطوع هو عماد التعبئة العسكرية السائدة في الثقافة المحلية وكان الإفرنج أنفسهم يعبئون قواهم بالتطوع والحث عليه في المجتمع الصليبي⁽¹⁶⁾، وهذه الهجرة انعكست على الديار المصرية بزيادة سكانية ملحوظة خلال هذه الحملات العسكرية⁽¹⁷⁾.

وربما أصبحت مدينة القدس بعد هذا وذاك عالماً مصغر الألوان بعبادات الغرب الأوروبي والشرقي معا بمن هاجر إليها

ممالك بلاد الشام مع الصليبيين وتزوج الصليبيون من هذه الطوائف⁽⁴³⁾، وقدم السوربان والموارنة كل مساعدة ممكنة للصليبيين وطالما زدوهم بالمعلومات اللازمة عن المسلمين وواقع حالهم وقوتهم⁽⁴⁴⁾، وإن احتقرت بعض الجماعات الصليبية هؤلاء المسيحيين الشرقيين ووصفتهم بالهرطقة⁽⁴⁵⁾، وأفاض المؤرخون بالعلاقات الودية مع هذه الجماعات من المسيحيين الشرقيين⁽⁴⁶⁾، وخاصة الموارنة⁽⁴⁷⁾، حيث كان التقارب بينهم وبين الإفرنج فاعتبروهم مخلصين لهم بانعزالهم عن المسلمين والطوائف المسيحية الأخرى مما أدى إلى انضمامهم رسمياً إلى الكنيسة الكاثوليكية⁽⁴⁸⁾، ويذكر الصوري William of Tyre وأن عددهم يزيد الأخرى على أربعين ألفاً وأنهم قدموا خدمات جليلة للإفرنج وإن يصفهم بالقول: "هم شعب نعتبره ضعيفاً ومختناً"⁽⁴⁹⁾، فالأرمن علاقته على تواد مع الصليبيين منذ أن دخل الصليبيون بلادهم في حملتهم الأولى⁽⁵⁰⁾، وأحد قادة الحملة بلدوين الأول Baldwin يعتبر نفسه الأقرب إلى الأرمن بحكم علاقته بالأمير الأرمني بقرات Bokrat في نيقية سنة 490 هـ/1095م⁽⁵¹⁾، وطالما تطلع الأرمن للخلاص من الحكم السلجوقي لقمعهم إياهم حيث اقتصر دورهم على التجارة والاشتغال بالزراعة، وحصلوا على تعهدات صليبية تنصفهم⁽⁵²⁾، فرحبوا بالفرجة قائلين: "بادروا أيها الفرجة المنصرون، بادروا فإن الترك الذين اضطربوا خوفاً قد انصرفوا جميعاً في آن واحد"⁽⁵³⁾، فها هم يتطلعون إلى الفرجة لتحقيق حياة أفضل لهم، فقام الصليبيون بتعيينهم كتاباً في دواوينهم ووزعوا عليهم أراضي المسلمين المهاجرين ومنحوهم امتيازات قد تشابه امتيازات الفرجة أنفسهم وعملت الكنيسة على توحيدهم تحت سلطنتها⁽⁵⁴⁾، ويبدو أن هذه الطوائف المسيحية الشرقية قد كانت لها إدارتها ونقابات في ظل الحكم الإسلامي⁽⁵⁵⁾، وكان يتبع لهذه النقابات من الجماعات الصوفية الإسلامية خانقافات لإيواء الغرباء والفقراء على سبيل المجان⁽⁵⁶⁾.

التعايش السلمي بين الطرفين الإسلامي والصليبي:

طالما أتى الغرب المسيحي لمدينة القدس بقصد الحج واختلطوا بأهلها من العرب قبل سيطرتهم عليها وجاءوا هكذا أثناء حكمهم لها⁽⁵⁷⁾، وشارك المسلم المسيحي أعياده مثل عيد الزيتونة وخميس العهد وسبت النور، وشاركوا بعضهم البعض في أفراحهم وأتراحهم⁽⁵⁸⁾، وتشارك أمراء وفرسان الطرفين في رحلات الصيد الشامية⁽⁵⁹⁾، يقول ابن شداد المتوفى سنة 632 هـ/1234م بوصفه لحال المسلمين والصليبيين أثناء حصار المسلمين لمدينة عكا سنة 587 هـ/1191م وأنس

بالطرف الآخر الإسلامي الرؤوف بعدوه، ووصف قائده صلاح الدين بالملك الرحيم عند دخوله المدينة المقدسة محرراً سنة 583 هـ/1187م⁽³¹⁾ وهكذا وصِف المسلمون بأنهم أكثر رحمة بالقلوب وأقل وحشية من الصليبيين⁽³²⁾، فسمح صلاح الدين لليهود بالهجرة مجدداً لمدينة القدس بعد تحريرها من الصليبيين، وأظهر لهم كل تسامح، وأصدر لهم نداءً بالعودة للمدينة المقدسة⁽³³⁾.

كانت أعداد الصليبيين عند قدومهم للمنطقة لا تمثل إلا فئة الفرسان والمقاتلين وهؤلاء ربما كانوا أقل تأثراً بالعادات والتقاليد السائدة من فئة العامة اللاحق وجودها والذين أخذوا بالقدوم إلى الممالك الصليبية الناشئة في بلاد الشام بعد استقرار الأوضاع⁽³⁴⁾، وربما تساوى عدد النازحين الأوروبيين وفيهم عدد كبير من النساء والأطفال غير المقاتلين للشرق وممالك الشام بعدد جيوش ومقاتلي الحملات الصليبية بعد نجاح الحملة الصليبية الأولى في تحقيق هدفها في تأسيس ممالك صليبية أربع، وكان الفلاحون المسلمون هم الفريسة السهلة لمثل هذه الهجمات القادمة⁽³⁵⁾، فازدهرت الحياة الاجتماعية في المناطق البعيدة عن مراكز القتال بين الطرفين⁽³⁶⁾، إذ كان الوضع الاجتماعي للفلاح الصليبي بحياته القاسية في الغرب إحدى الأسباب الرئيسة للمشاركة في هذه الحروب، وكانت المشاركة منذاً لهم لحياة أفضل، وكانوا بالتالي أكثر اندماجاً في المجتمع الشرقي من غيرهم⁽³⁷⁾. والنصارى طالما كان لهم وجود سابق لفترات الصراع العسكري هذا - الحروب الصليبية - تمثل بأولئك المسيحيين الشرقيين الذين كانوا أكثر ليناً منهم ممن رافق السيف الصليبي القادم للانتقام والسلب والنهب، وخاصة أن القيادة المسلمة حاولت استمالتهم لمواجهة الأخطار المحدقة⁽³⁸⁾، ويقول المؤرخ المسلم المعاصر أسامة بن منقذ المتوفى سنة 584 هـ/1188م: "إن كل من هو قريب العهد من البلاد الإفرنجية أجفى أخلاقاً من الذين تبدلوا وأصبحوا من أهل البلاد وعاشروا المسلمين"⁽³⁹⁾، فعاش البولاني Poulani - أبوه صليبي وأمه شرقية - بسلام مع المسلمين ونظر بعض المسيحيين في الشرق للقادمين من الغرب الأوروبي بأنهم مغتصبون لممتلكاتهم⁽⁴⁰⁾، وامتازوا بالاعتدال والمرونة في الوقت الذي وصف فيه الصليبيين الجدد بالتطرف والقسوة والحقاقة، فكان لهؤلاء القدامى تواصل وصلاح في المجتمع الإسلامي السائد⁽⁴¹⁾، مما أثار خلافاً مستمراً بين المسيحيين القدامى والصليبيين الجدد في ممالك بلاد الشام المحتلة وأطلق البعض على هؤلاء الغرباء لقب الوافدين وسماهم البعض بالبحريين⁽⁴²⁾.

تعاون بعض المسيحيين الأرمن والموارنة والسوربان في

ويبدو أن هناك لقاءات ومراسلات بين الطرفين فما هو القاضي الفاضل كاتب صلاح الدين يكتب على لسانه معزياً بردويل Bardawil بأبيه ومهنئاً له بالملك على مدينة القدس ويبدو أنه متأثر كثيراً بما أصاب هذا الملك من البلاء قائلاً: "وَرَدَ الخبر بما ساء القلوب الأصادق... ووصف ما نالنا من الوحشة لفراق ذلك الصديق وخلو مكانه، وكيف لا يستوحش رب الدار لفراق جيرانه" (77)، وهذا الأمير فخر الدين يوسف بن حمويه - في عهد الملك الكامل بن العادل - يناقش الإمبراطور فريديريك الثاني Friedrich II في الحساب والمنطق والأمور الطبية وغيرها من المسائل، ويرد عليه فريديريك بخصوص خليفة المسلمين قائلاً: "ما أحب هذا لكن هؤلاء القليلي العقول - يعني الإفرنج - يأخذون رجلاً من القمامة ليس بينه وبين المسيح نسب يجعلونه خليفة عليهم" (78)، وما هو الملك الكامل الأيوبي يخالف رأي من حوله وشعبه ويسلم مدينة القدس لهذا الإمبراطور سنة 626هـ/ 1229م دون حرب (79)، وما هو الملك جوسلين Jocelyne وبمقتضى اتفاق عقد بين الطرفين بكرم الأمير نجم الدولة مالك ويطلق سراح الأسرى لديه (80)، واستعان عموري الأول Amaury I ملك بيت المقدس بأطباء مسلمين لعلاج ولده بلدوين الأبرص Baldwin I (81)، وسبق هذا علاقات تهنئة بين الوزير الفاطمي الصالح بن رزيق سنة 549هـ/ 1157م وسفير مدينة بيزا الإيطالية وصلت أخرى بين الدولة الفاطمية ومدينة جنوة ومدينة البندقية (82).

فصلاح الدين الأيوبي بنى دولته على أساس أخلاقي، ولم يسلك مع الآخرين سبيل الانتقام والغدر، فنال حظوة عند عامة الصليبيين (83) عفا عنهم وآمنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسمح للملك غي دي لوزينيان Guy de Lusignan بعد أسره في معركة حطين حرية الإقامة في نابلس وأحضر له زوجته - سبيلا Sybella - لتعيش معه، وأطلق سراحه بعد سنة من أسره (84)، وطالما تعرض الأسرى المسلمين لسوء المعاملة وأوكلت بهم أعمالاً حقيرة تأنفها أنفسهم (85)، في وقت سمح بها الطرف المسلم للأسير الصليبي التواصل مع أسرته ومنع الصليبيون ذلك (86)، وإن ذكر البعض وربما في ظروف قاهرة بأن لجأ صلاح الدين إلى تحويل كنيسة في القدس مدرسة وجعل كنيسة أخرى بيمارستاناً (87)، وربما وفي وحافظ بالمقابل بعض ملوك الصليبيين على موافقتهم وعهودهم مع الطرف المسلم، فيذكر أنهم قد وزعوا الهدايا على القائمين على شؤون المسجد الأقصى عند وجودهم وحكمهم (88)، وكان المسلمون والنصارى في حالة ترفيه مع بعضهم البعض دون أن يتعرض أحدهما للآخر، وربما حسب قول ابن جبير هنا: "أن رجال المسلمين تحت الحكم الإفرنجي كانوا أفضل حالاً مما كان

البعض بالبعض، بحيث إن الطرفين كانا يتحدثان ويتركان القتال، وربما غنى البعض ورقص البعض لطول المعاشرة، ثم يرجعون للقتال بعد ساعة"، وساد التفاعل الإنساني بين المسلمين والصليبيين حتى قيل طالما رقت قلوب المسلمين لحال الصليبيين (60).

ويذكر ابن جبير المتوفى سنة 614هـ/ 1218م أن العائلات المسلمة كانت تقيم بين ظهرائي الصليبيين في بلاد الشام (61)، وبنيت هذه العلاقة المتبادلة بين الطرفين الإسلامي والصليبي على أسس عديدة منها التعارف وتلك العلاقات التجارية ثم المصاهرة بين الطرفين وما تخلل فترات المهادنة من اتفاقات حتمتها الظروف العسكرية واختلال ميزان القوى بين الأطراف المتصارعة، فالتعايش السلمي خطت له تلك المعاهدات والهدن الموقعة بين الطرفين (62)، فتنص المعاهدات على حرية انتقال الفلاحين وترحالهم وأمنهم وسلامتهم مع التزامهم بالعودة إلى مساكنهم (63)، إذ تعب الطرفان من حال الحرب وكرهوها (64)، فيقول المؤرخ الإفرنجي فوشيه الشارترى Foucher de Charters: "أبتها الحرب يكرهك الأبرياء وتبثين الرعب في أوصال من يشاهدونك، الحرب ليست جميلة لقد رأيت المعركة واضطرب عقلي" (65)، وطالما قدم الطرفان حال معيشتهم على حال حربهم فتركوا المعركة وذهبوا لجمع قوت أسرهم (66)، وربما تألفت جيوش الطرفين حتى في وقت الحرب والقتال (67)، وكان بعض هؤلاء المسيحيين المشاركين في الحملات الصليبية يقوم بدور الوسيط بين المسلمين وجماعته من أبناء جلدته (68)، وإذا ما وصلوا لحالة السلم والتواصل فرح الطرفان ونادوا بهذه الحال المفرحة (69)، وكان بعض الأسرى الصليبيين يهرب إلى بلاده ويعلم أهله ما تعلمه من العرب المسلمين، فانتقل التأثير الحضاري عبر هذا إلى خارج القارة محط الاحتكاك والتواصل الحضاري (70).

فكان السكان المحليون على الأغلب على علاقة طيبة مع الطرف الصليبي طيلة الحكم الإفرنجي لبلاد الشام (71)، وكانت هناك زيارات خاصة بين الحكام المسلمين والأمراء الصليبيين، وسادت علاقة احترام بين البارونات والحكام المسلمين أثناء زيارة المدينة المقدسة الذين طالما جاءوا للحج والسياحة (72)، فما هو الملك العادل الأيوبي يرحل إلى الشام والجزيرة سنة 608هـ/ 1211م ويعود إلى دمشق ويرفقه وضيافته وكليام الإفرنجي Wikliam (73)، وما هو أحد أمراء الإفرنج يعرض على أسامة بن منقذ أن يرسل معه ابنه ليكون تحت رعايته في بلده الأوروبي فرفض ابن منقذ عرضه هذا (74)، ويقول ابن منقذ في هذه العلاقة: "إذا دخلت المسجد الأقصى وفيه الداوية وهم أصدقائي" (75)، وتشارك فرسان الطرفين رحلات الصيد (76)،

من التجار وأرباب الحرف والصناعات لتقام الأسواق المؤقتة لتلبية حاجات الجنود والمحاربين⁽¹⁰¹⁾، حيث كانت النظرة للبرجاسي- التاجر- مثلاً بأنه لا يقاتل ولا يشجع على قتال⁽¹⁰²⁾، وفي عصر الدولتين الأيوبيه والمملوكية واستجلاًباً لمنافع التجارة على الدولة الإسلامية والصليبية عامل المسلمون التجار الصليبيين بالعطف، ومنحهم كل رعاية ممكنة وجعلوا لهم مؤسسات خاصة تأويهم⁽¹⁰³⁾، واستمرت هذه الحركة التجارية بين الطرفين رغم موقف البابوية المعارض للتعامل مع الطرف المسلم، وخاصة بجلب الحديد والصلح والخشب، فيحرم من يجلبها للطرف المسلم من الغفران وقد يصادر ماله وتسلب حريته⁽¹⁰⁴⁾، وإن كان هذا المبرر للطرف المسلم للتعامل مع الطرف الصليبي المعتدي على أرضه لجلب مصلحة عامة له، فتقول نولدكة Sigrid Hunke: "تجرد التجارة العربية من التعصب الديني"⁽¹⁰⁵⁾، وعكست التجارة على المجتمع الصليبي في بلاد الشام حياة الترف والمجون ولعب القمار والثراء الفاحش⁽¹⁰⁶⁾، وتواصلت المصالح الاقتصادية باستمرار الحركة التجارية النشطة بين الطرفين رغم الحروب المشتعلة⁽¹⁰⁷⁾، وانتشرت ظاهرة الباعة المتجولين إلى جانب الأسواق التي تخص الطرفين، حيث يحملون الأقمشة والحاجات البيئية وتخرج إليهم النساء للشراء⁽¹⁰⁸⁾، وطالما استخدمت لهذا الغرض عملات ونقد إسلامية وصليبية في ممالك بلاد الشام المختلفة⁽¹⁰⁹⁾.

اللغة السائدة ووسائل التخاطب:

بدأ التأثير المتبادل بين الطرفين العربي الإسلامي والإفرنجي المسيحي منذ اللحظة الأولى لوجود الصليبيين في الشرق، فتعلم الصليبيون اللغة العربية للتخاطب وحاجتهم للتواصل مع الطرف الإسلامي في المناسبات المختلفة التي جمعت الطرفين سواء كانت سلمية أو عسكرية، وهذا دليل قاطع على انسجام وتعايش وترايط بين الطرفين وعيشهما معا⁽¹¹⁰⁾، وتعلم المسلمون لغة الآخر واستعانوا بالمستأمنين من الإفرنج للمشاركة في حروبهم وطلّاع جيوشهم مقابل وعود قطعوها لهم على أنفسهم⁽¹¹¹⁾، وها هو الملك الصليبي أرناط Renoud de Chatillon ملك الكرك والذي كانت له مظالم بحق المسلمين سجلها المؤرخون بحقه يستعين بأحد المسلمين ليقراً له ويفهمه مسائل اجتماعية خاصة⁽¹¹²⁾، وأتقن الصليبيون الترجمة عن العربية مثل ابن الهنفي Humphrey of Thoron الذي ترجم بين الملك العادل الأيوبي وملك الإنجليز ريتشارد قلب الأسد Richard Coeur de Lion⁽¹¹³⁾.

نعم خرج الصليبيون من ديارهم لقتال المسلمين بحضارتهم

عليه الوضع في الممالك الإسلامية، وإن كان هذا لفترة قصيرة زار بها ابن جبير المنطقة⁽⁸⁹⁾، حيث يعود هذا الرحالة للقول في وصف حال المسلمين تحت الحكم الإفرنجي: "الذلة والمسكنة ومنها سماع ما يفجع الأفئدة"⁽⁹⁰⁾، فربما استخدمت الجاليات الإسلامية أحياناً في زراعة الأرض لصالح الحكم الصليبي النافذ في المنطقة دون أدنى فائدة عندهم من هذا العمل الشاق⁽⁹¹⁾، ويقول فيهم المؤرخ الصليبي وليم الصوري William of Tyre: "ما من عدو أسوأ من العدو المقيم بين ظهرانك"⁽⁹²⁾، فكان من الصليبيين الجدد ظاهرة الغدر واللاإنسانية في حقب هذا التاريخ الصليبي المفروض على المنطقة⁽⁹³⁾، وفرض على السكان التعايش الإجمالي مع هذه القوى المغتصبة لأرضهم⁽⁹⁴⁾، وإن حظرت بعض القوانين والمعاهدات أخذ الفلاحين بالسخرة وأعطتهم حرية التنقل في ممتلكاتهم⁽⁹⁵⁾، بحيث كان الأثر الاجتماعي لهذه الحروب الصليبية بإعادة صياغة العلاقات الاجتماعية على أساس إقطاعي⁽⁹⁶⁾، بعد أن كانت هذه العلاقات على أساس أيديولوجي بسبب دخول مثل تلك العناصر المتباينة الثقافة للمجتمع الشامي المتعدد العناصر، بحيث ترتب على الأمير المقطع تقديم عدد من الفرسان لإدارة المعركة مقابل الإقطاع الممنوح له، وقد يتلقى البعض جامكية - راتب - بعدم منحه إقطاعاً، حتى أصبحت هناك خاصية وراثية لهذه الإقطاعات الشامية، مما أوجد نوعاً من الطبقة في مجتمع بلاد الشام خاصة والمجتمع الإسلامي الشرقي بشكل عام⁽⁹⁷⁾.

ويبدو أن ذلك التنوع الاثنى والديني والتنوع التضاريسي كذلك بتنوع قيم وأخلاقيات كل جماعة قد أوجد صعوبة في دراسة الحياة الاجتماعية بشكل منفصل في المجتمع الشامي خلال الحملات الصليبية، ووصف ابن خلدون المتوفى سنة 808/1406م هذه العلاقة بين الحاكم والمحكوم بعلاقة "سلطان ورعية"⁽⁹⁸⁾، ويرى البعض أن كل فئة في ممالك بلاد الشام ربما عانت خلال هذه الحملات فعاشت بمعزل عن الآخر، وأعادت الحروب صياغة المثل والقيم وأخلاقيات المجتمع المتمثلة من خلالها تلك العناصر الإثنية العرقية⁽⁹⁹⁾.

هذا التنوع في ممالك الشام ربما لم يرافقه تنوع مشابه في مصر، فالظروف الاجتماعية والسياسية جعلت مصر لا تقوم بدور مؤثر في مقاومة الوجود الصليبي والاحتكاك به من خلال هذا الوجود، بل تعاونت بعض القوى الحاكمة في مصر مع هذا العدوان ضد القوى الإسلامية المحاربة في بلاد الشام مع مطلع هذه الحملات بعكس نهايتها، مما أثقل على إمارات بلاد الشام وشعبها في مهمة مقاومة هذا الوجود وسرعة التأثير والتأثير به⁽¹⁰⁰⁾، ورافق هذه الجيوش الصليبية الغازية جماعات

الزواج بكتابية، فتزوج الرسول صلى الله عليه وسلم من مارية بنت شمعون القبطية - أم ولده إبراهيم - وإن لم تحظ مارية بلقب أم المؤمنين، حيث أرسلها المقوقس صاحب الإسكندرية كهدية من عنده للرسول الكريم في السنة السابعة للهجرة، فجعلها الرسول صلى الله عليه وسلم سرية وجارية مملوكة، وتزوجها فولدت له إبراهيم فقال الرسول الكريم: "أعقها ولدها"⁽¹³⁰⁾، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في سابقة للتواصل مع النصارى وإكراماً لزوجته مارية رضي الله عنها: "استوصوا بالقبط خيراً إن لهم ذمة"، وتقول فيها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية؛ وذلك أنها كانت جميلة جعدة فأعجب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم"⁽¹³¹⁾.

وطالما كان للمسلمين في هذا السياق شأن من قبل هذا في بلاد الأندلس، حيث تزوج المسلمون بالنصرانيات وكانت بينهم مصاهرة منذ الفتوح الأولى في بلاد الأندلس، وكانت أمهات بعض المسلمين نصرانيات⁽¹³²⁾، فالقائد والحاكم المسلم موسى بن نصير تزوج سنة 113هـ/731م بلامبيجا ابنة اود دوق أكيثانيا⁽¹³³⁾، وتزوج ملك قشتالة النصراني سعيدة بنت المعتمد من العرب المسلمين بعد وفاة زوجته الثانية وحملت له هذه الزوجة ثقافة قومها بعبادتهم وتقاليدهم في قصره⁽¹³⁴⁾، وهكذا كان الوضع باندماج وتبادل ثقافي سلمي ظاهر بين المجتمعين الإسلامي والصليبي في بلاد الشام⁽¹³⁵⁾، واعتنق بعض الصليبيين الإسلام وتزوجوا بمسلمات⁽¹³⁶⁾، واختلطت العناصر الإسلامية والصليبية وتقاسما الظروف المعاشية فيما بينهم من خلال هذا الزواج⁽¹³⁷⁾، فحاول ريتشارد قلب الأسد Richard Coeur de Lion تزويج أخته جونا Jouna of Sicily أرملة ملك صيقلية غليوم Guillaume من العادل أخو صلاح الدين، حيث أعجب ريتشارد بالعادل أثناء التفاوض معه، وأثرت الظروف المحيطة عند هذه القيادة المسلمة في وجدان الملك الصليبي⁽¹³⁸⁾، وعرض على العادل أن يتنصر حتى يتم هذا الزواج، على أن يخصصها العادل بكل ما فتح الأيوبيون من المدن الساحلية، فوجدت فكرة الزواج هذه معارضة شديدة من البابوية، البابا الذي حرم وأدان كل صليبي أقام علاقة تعاون مع المجتمع الإسلامي في أرض بلاد الشام خلال الحروب الصليبية⁽¹³⁹⁾، وأراد ريتشارد إتمام مثل هذا الزواج، حتى وإن لم توافق أخته جونا على هذا الزواج فيتمكن تزويج الملك العادل من البانور Banour ابنة أخته⁽¹⁴⁰⁾، والعادل رأى في هذا الزواج توحيد لجهود المسلمين والصليبيين في بلاد الشام تحت لواء واحد، وبهذا الزواج إقرار أمور المحبة والمودة بين الطرفين⁽¹⁴¹⁾، فرفضت جونا هذا الزواج برجل مسلم، وأنكرته

وأملأهم فإذا هم جلوس عندهم يأخذون عنهم فنون العلم والمعرفة⁽¹¹⁴⁾، فتأثروا بلغتهم واستخدموها في تعابيرهم⁽¹¹⁵⁾، ودرس بعضهم الأدب العربي وتكلم بالفصحى ودرس حياة المجتمع الإسلامي وأساليبه المعيشية المختلفة⁽¹¹⁶⁾، وإن استخدم الصليبيون لغات بلادهم في كثير من الأحيان في شوارع البلاد الشامية⁽¹¹⁷⁾، ويقول ابن منقذ بحق رجل مسلم وصراعه مع إفرنجية: "وهي تبرير بلسانهم وما أدري ما تقول"⁽¹¹⁸⁾، واستخدمت لغات مختلفة في هذه الممالك وعرفت الأطراف المختلفة لغات بعضها بعضاً⁽¹¹⁹⁾، فاستخدمت اللاتينية في الكنائس وفي تدوين المدونات التاريخية والقانونية⁽¹²⁰⁾، وإذا ما ضعف الفهم بين الطرفين الإسلامي والصليبي وجد الترجمان ليقوم بواجبه، ويذكر أن المعاهدات بين الطرفين قد كتبت باللغتين العربية واللاتينية⁽¹²¹⁾.

اختلط الصليبيون بالمسلمين وأخذوا ببعض طباعهم وعاداتهم ولغتهم، فتعلم الصليبيون العربية وكتبوا فيها في دواوينهم⁽¹²²⁾، وانتقلت اللغة العربية إلى مختلف اللغات الحية الأوروبية⁽¹²³⁾، فأخذ الغرب الصليبي عن العرب في حروبهم هذه ألفاظاً عربية استخدمت بالمعنى نفسه مثل:

Sugar, Lemon, Orange, Arepesque, Azure, Jar, Elixir, Magazine, Julep, Syrup, Sherbet, Bazir, Fustian, Elam, Muslin, Sof, Mattress, Admiral,

وكلمات أخرى كثيرة⁽¹²⁴⁾، وطالما ساعدتهم هذه اللغة على فهم واقعهم الجديد، فيذكر أن كتاب ديوان مدينة عكا خلال الحكم الصليبي لها قد تكلما بالعربية وكتبوا بها من خلال عناصر وظواهر ثقافتها الإسلامية ومعاني ألفاظها، وتعلموا هذه اللغة لاختلاطهم بالمجتمع المحيط والوجود الإسلامي المتواصل على هذه الأرض⁽¹²⁵⁾، وهكذا كانت أسماء الأشياء الأخرى من المنتجات الفلاحية والصناعية والتجارية التي استخدمت بصورتها نفسها ومقصودها على ألسنة الطرفين الإسلامي والصليبي في آن واحد⁽¹²⁶⁾.

الزواج والمصاهرة بين المسلمين والإفرنج:

تزوج الصليبيون بنساء شرقيات وأنجبا منهن أولاداً، وأطلق على مثل هؤلاء الأحماد لقب⁽¹²⁷⁾ بولان Poulani وكان لهؤلاء المدجنين دور مؤثر في حياة المجتمعين المختلطين الإسلامي والصليبي ومارسوا العادات والتقاليد والثقافة الشرقية الشامية في الزواج⁽¹²⁸⁾، فتزوج الصليبيون بأرمنيات وبيزنطيات ومسيحيات الشرق لما وجدوا منهن من خلق ما لم يجدوه من بنات جلدتهم⁽¹²⁹⁾.

وتزوج المسلمون بالنصرانيات طالما أنه لم يحرم الإسلام

– كما أسلفنا – البابوية واعترض عليه القساوسة اعتراضاً شديداً فلم يتم الزواج⁽¹⁴²⁾.

وتزوج شهاب الدين مالك بن مسلم بن مالك – صاحب قلعة جعبر – بجارية صليبية وأصبحت هذه الجارية أمّاً لولده بدران، ثم فضلت الهروب والتزوج من إسكافي من بني جلدتها⁽¹⁴³⁾، وتزوج الملك بلدوين الأول Baldwin 1 من الأميرة العربية الأرمنية آردا Arda في الرها وبعد أن فقد ذريته منها في مرحلة طفولتهم طلقها⁽¹⁴⁴⁾، وتزوج بلدوين مرة ثانية على زوجته الأولى متأثراً بعادات الشرق وتعاليم الإسلام بالتعدد رغم معارضة الكنيسة والبابوية لهذا الزواج الثاني⁽¹⁴⁵⁾.

ديانة ومعتقد الطرفين المسلم والصليبي:

ربما لجأ الصليبيون إلى نشر المسيحية بين المسلمين باللين والإغراء عندما فشلوا في نشرها بحد السيف⁽¹⁴⁶⁾، فاعتنقها بعض المسلمين حفاظاً على حياتهم ومصادر رزقهم⁽¹⁴⁷⁾، وقد يحاول الصليبي بطريقة أخرى ترك أثر معتقده على الآخر، مثلما حاول أحد الصليبيين الجدد إجبار أسامة ابن منقذ لتحويل قبلته في صلاته للشرق على غرار ما يفعل الإفرنج في صلاتهم⁽¹⁴⁸⁾، وحاول أحد المسيحيين في القدس أن يثبت وجهة نظره لمسلم بأن الله صورته في المسيح عيسى بن مريم كما يعتقد هو⁽¹⁴⁹⁾، رغم أن بعض النصوص الواردة تنص بأنه إذا ما تنصر شخص يرد ما بحوزته ويبقى عرياناً، وإذا ما أسلم شخص يرد ما بحوزته ويبقى عرياناً⁽¹⁵⁰⁾، واعتنق الصليبيون الديانة الإسلامية وكره بعضهم ما حرم الإسلام وقدر العدد ممن اعتنق الإسلام بثلاثة آلاف من الصليبيين⁽¹⁵¹⁾.

إذ كانت العقيدة الإسلامية المتجسدة بقادتها بنظر الصليبيين والغربيين أكثر وضوحاً " وشعائرها أبسط وأنقى"، فاختلّفوا بسلوكهم عن الآخر فطالما سمح المسلمون بالتواصل بين الأسير وأهله ومنعه الصليبيون⁽¹⁵²⁾، وشقق صلاح الدين على أعدائه مما جعل المؤرخين الأوروبيين يعجبون به فكيف للدين الإسلامي الخاطئ حسب معتقدهم أن ينتج رجالاً بهذه الصورة⁽¹⁵³⁾، ولم يتعرض الصليبيون في كثير من الأحيان لمعتقد المسلم وديانته، وخاصة في تبني الخاضعة للحكم الصليبي وهكذا كان المسلمون كذلك⁽¹⁵⁴⁾، وسمح المسيحيون البيزنطيون للمسلمين بإقامة مسجد لهم في مدينة القسطنطينية، وسمح المسلمون للصليبيين النصارى بإخراج موتاهم بالشمع الموقد وإظهار شعائهم في كنائسهم⁽¹⁵⁵⁾، ويبدو أن الظواهر للأخلاقية قد لاقت معارضة قانونية وعقائدية عند كلا الطرفين المسلم والصليبي⁽¹⁵⁶⁾.

وفي بلاد المناصقات الإسلامية الصليبية المشتركة طبق

القانون بحسب ديانة الشخص المذنب ومعتقده، فطبق الشرع الإسلامي إن كان هذا مسلماً وطبق القانون الإفرنجي إن كان المذنب صليبيّاً، هذا وعقدت المعاهدات بين الطرفين بين الملك الظاهر بيبرس والإسبتارية Hospitall Ler⁽¹⁵⁷⁾ في حصن الأكراد والمربق سنة 665هـ/1267م، وهذه المناطق المناصفة كانت الدليل الواقعي التطبيقي لأسس الحوار العقائدي والتفاهم والتقاء المصالح بين الطرفين المسلم والصليبي، ونالت الدعاوى الاجتماعية تنظيمًا خاصاً بين الطرفين⁽¹⁵⁸⁾، فأوقع الصليبيون وكذلك المسلمون العقوبة الرادعة بكل من يقع في خطيئة أو فاحشة⁽¹⁵⁹⁾، وأصدر مجلس نابلس الصليبي عدة قرارات في هذا الشأن العقائدي الأخلاقي، فمثلاً إذا ما ثبت أن أحداً ضاحج امرأة مسلمة برغبتها الشخصية يعاقب الاثنان معاً، وذلك بأن يخصى الرجل ويجدع أنف المرأة⁽¹⁶⁰⁾، وإذا أرغمت امرأة مسلمة بممارسة الجنس مع رجل مسلم يتم تطبيق عقوبة الزنا على كل منهما⁽¹⁶¹⁾، وإذا ضاجعت امرأة إفرنجية رجلاً مسلماً بإرادتها فيقع عليهما معاً عقوبة الزنا، وإذا تعرضت مثل هذه للاغتصاب فلا تعد هي مذنبية ويخصى الرجل المسلم⁽¹⁶²⁾، ووفق هذه القرارات الصليبية حُرمت العلاقات الجنسية اللاشرعية بين المسلمين والصليبيين للاختلاف العقائدي بين الطرفين⁽¹⁶³⁾، ويذكر المؤرخ المصري المقرئ المتوفى سنة 845هـ/1441م أن إفرنجياً تعرض لصبي مسلم وراوده عن نفسه، فقال الصبي المصري: " هذا لا يحل، فخلع الصليبي خفه وضرب الصبي المصري على وجهه فاشتبك الرجل والصبي واجتمع شيعه كل منهما فدخل الإفرنجي حلقة ذكر وأراد المسلمون إخراجهم فامتنع، فاستنكر قومه من الإفرنج هذا العمل وعدوا عمل ابنهم عملاً عابثاً⁽¹⁶⁴⁾.

تراث متبادل مؤثر مقبول عند الطرفين وعادات وسلوكيات مرفوضة عند الآخر:

التأثيرات الاجتماعية المتبادلة بين المسلمين والصليبيين تعدت إلى القيم والمثل وأخلاقيات المجتمع والعلاقات بين مختلف الطوائف، فشاعت قيم جديدة بين الطرفين وعند العناصر السكانية المكونة للمجتمع العربي الإسلامي الشامي⁽¹⁶⁵⁾، فحدث التقارب منذ أن امتلك الصليبيون بيوتاً وقصوراً لهم في بلاد الشام لم تكن عندهم في بلادهم فعاش بعضهم الآخر بقلة عزيمة وضعف انتمائه لموطنه، وانشغلوا برغد العيش وأخذت البيئة الشامية منهم ميلاً لعاداتها وظواهرها الاجتماعية المختلفة⁽¹⁶⁶⁾، حتى كان منهم تقديراً لبعض تراثيها الإدارية الموروثة كالمحتسب Methessp وتنظيمه الإداري الذي أبقى عليه الإفرنج في مملكة القدس كما وجدوه في التراث

بعضهم، يقول الملك هنري دي شمانيا Henry de Chunt of Champagne للسلطان صلاح الدين الأيوبي وقد طلب منه خلعة: "أنت تعلم أن لبس القباء والشربوش عندنا عيب، وأنا ألبسها منك محبة لك" فأعطاه صلاح الدين خلعة سنية منها القباء والشربوش، فلبسهما هذا الملك في عكا⁽¹⁸²⁾، وليس ملك قبرص العمامة⁽¹⁸³⁾، وليس الصليبيون الألبسة الثمينة ذات الطابع الشرقي الفخفاف الزاهي الألوان، هذه الألبسة الموشاة بالحرير والتطريزات اللاتقة، وكانت هذه الألبسة كما يزعم البعض في تناول معظم طبقات المجتمع الشامي، ولبست العروس الإفرنجية في حفل الزواج أبهى زي وأفخر لباس حيث "تسحب أذيال الحرير سحباً ووضع العروس على رأسها عصابة"⁽¹⁸⁴⁾، وأخذ الصليبيون فن النسيج عن المسلمين في هذه المنطقة⁽¹⁸⁵⁾، وارتدت المرأة الصليبية الخمار وطالما منعت المرأة من الخروج سافرة، بل عدم الخروج إلا عند الضرورة كما هي العادة في المجتمع الشرقي الإسلامي، وسادت عادة الغيرة على الأزواج عند النساء في المجتمع الصليبي المتشاك والمختلط بالمجتمع المسلم، واتبع بعض الصليبيين عادة مراقبة المرأة مراقبة شديدة في حلها وترحالها⁽¹⁸⁶⁾، وتأثر المسلمون بالصليبيين في اختلاط النساء بالرجال في بعض المناسبات، ولم يكن عند الفرد الصليبي كما ذكرنا غيرة كما هي عند الرجل الشرقي⁽¹⁸⁷⁾، وتميز بعضهم بلباسه فلبس لويس التاسع Louis ix غفارة بها أشكرلاط أحمر بفرو سنجاب⁽¹⁸⁸⁾، ولبست المرأة الصليبية المحاربة ملوطة حمراء⁽¹⁸⁹⁾، وأعجب الإفرنج بالمنسوجات الشامية فما هو لويس التاسع Louis ix يكلف جوافيل Joinville أن يشتري له كمية من المنسوجات الشامية ليقوم بتوزيعها على المؤسسات الدينية الصليبية⁽¹⁹⁰⁾.

وذكر المؤرخون المكانة الرفيعة للمرأة الإفرنجية بالقول: "امرأة كبيرة القدر وافرة الوفر وهي في بلدها مالكة الأمر"⁽¹⁹¹⁾، وشاركت المرأة الإفرنجية في الحرب "اللواتي يبارزن الأقران" وطالما شاركن في سباق الخيل، حتى أكرم القائد صلاح الدين مثل هذه المرأة بشجاعتها ومكانتها في مجتمعا⁽¹⁹²⁾، حيث نعمت المرأة الصليبية بالحرية على أرض الشام خلال هذه الفترة وإن تقل الغيرة كما أسلفنا عند رجالهن، فتلتقي المرأة برجل آخر وتتحدث معه ومعها زوجها ينتظرها وإذا ما تأخرت تركها زوجها مع صديقها وغادر⁽¹⁹³⁾، وكانت الغربة في هذا السياق من أن تتزوج امرأة إفرنجية من آخر وقد طلقها زوجها الأول وهي حامل بولد منه، أو أن يجد رجل إفرنجي آخر في فراشه ويقول له: "حق ديني إن فعلت كذا مرة أخرى تخاصمت أنا وأنت " وكان هذا مبلغ غيـرته وإنكاره للأمر⁽¹⁹⁴⁾، وأنكر

الفاطمي سنة 490هـ/1199م، هذا وإن اعتبرت الحسبة عند المسلمين تنظيمًا إداريًا أساسيًا واعتبرها الإفرنج ترتيبًا إداريًا استثنائيًا⁽¹⁶⁷⁾، وأبقى الصليبيون على السلطة التقليدية التي يتولاها القضاة والعلماء في القرية الشامية، فكان المدرس هو من يكتب عقود الزواج مثلاً⁽¹⁶⁸⁾، ومما لا شك فيه أن الأيوبيين والمماليك في دولتهم قد أخذوا ببعض التقاليد والتراتب الإدارية الصليبية⁽¹⁶⁹⁾.

وطالما ذكرت أخلاق صليبية محبة للطرف المسلم، فمدح المسلمون تنفيذ القانون في المجتمع الصليبي⁽¹⁷⁰⁾، وإن استغرب واستهجن ابن منقذ في موقع آخر صوراً للمحاكمات عند الصليبيين بأن يوضع الرجل في الماء فإن غرق فهو بريء وإن كان مذنباً لا يغوص في الماء⁽¹⁷¹⁾، ومدح آخرون الشجاعة والبطولة عند الإنسان الصليبي، مثلما أبرز المسلمون دهاء وذكاء وحسن تدبير الإنسان الصليبي⁽¹⁷²⁾، وكان للفروسية شأن في نظر الصليبيين ففئة الفرسان هذه سواء أكانوا مسلمين أو صليبيين تمتعوا بمكانة لا تقة في هذا المجتمع، وكان الحكم الذي يطلقه الفارس الصليبي هو حكم قطعي، يقول الملك الصليبي فولك الخامس Folk V بحق الأمير أسامة بن منقذ: "حق ديني لقد فرحت البارحة فرحاً عظيماً عندما قالوا لي: إنك فارس عظيم، فقال أسامة: يا مولاي أنا فارس من جنسي وقومي"⁽¹⁷³⁾، ويقول بحق فارس آخر: "وصار يلزمني ويدعوني أخي وبيننا المودة والمعاشرة"⁽¹⁷⁴⁾، ومارس الفرسان المسلمون والصليبيون معاً رياضة الصيد والقنص، وأخذ المسلمون عن الصليبيين لعبة الصولجة من الكرة⁽¹⁷⁵⁾، وأخذ الطرفان عن بعضهم رياضة الصيد⁽¹⁷⁶⁾، ولعبة النرد التي أخذ المسلمون بها عن الفرس فقلدهم بها الصليبيون في بلاد الشام ونقلوها إلى بلادهم⁽¹⁷⁷⁾، وهكذا لعبة الشطرنج التي وضع أسسها حكماء الهند فلعب بها المسلمون والصليبيون أثناء تواصلهم في ممالك الشام⁽¹⁷⁸⁾.

ويقول المؤرخ العماد الأصفهاني المتوفى سنة 597هـ/1201م عن الشجاعة على السنة بعض الصليبيين المحاصرين في مدينة القدس: "ونلقي أنفسنا على النار ولا نلقي بأيدينا إلى التهلكة والعار، ولا يجرح منا واحد حتى يجرح عشرة"، وإن انتقد البعض هذا بالقول: "ما فيهم غيرة ولا نخوة وفيهم الشجاعة العظيمة"⁽¹⁷⁹⁾، وشهد مثل هؤلاء المؤرخين بالنموذج الفكري عند هؤلاء الصليبيين المتواجدين على الأرض الشامية⁽¹⁸⁰⁾.

ولبس الصليبيون مثلما لبس المسلمون في بلاد الشام الأسود وقت الحزن، وفي هذه الأحزان أحضر الصليبيون الندابات كما هو الحال في المجتمع الإسلامي الشرقي⁽¹⁸¹⁾، وحتى وإن اعتبر بعضهم لبس القباء والشربوش عيباً فقد لبسه

فتجاهلت بعضهن الرشد ورافقت النساء أزواجهن في هذه الحملات، وطالما أقامت النساء الصليبيات بين الأهالي في القرى والأرياف الشامية⁽²⁰⁸⁾، ويذكر أنه قد سمح للنساء الغسلات بمرافقة بعض الجيوش المحاربة⁽²⁰⁹⁾.

وحلق الصليبيون لحاهم فقلدهم المسلمون في هذا⁽²¹⁰⁾، وربما تشابهت المرأة الإفريقية بالرجل في حلق شعرها⁽²¹¹⁾، وانتقد المسلمون تصرفات أخرى لا تتناسب تحفظهم ومعتقدهم، فظاهر بعضهم بهذا الانتقاد للمرأة الصليبية بلين القول أحياناً: "تسحر بنظراتها نظارها وتنثني كأنها غصن عجاء هيفاء غناء لعناء"⁽²¹²⁾، هذا وإن كانت النساء الصليبيات على قلتها في بلاد الشام لأن أغلب الوافدين كانوا من الرجال⁽²¹³⁾، وانتقلت عادات أخلاقية كريمة من التسامح والفروسية والشجاعة والرحمة والإحسان عبر هذه الجماعات الصليبية إلى أوروبا، وسمع الصليبيون للغناء الشرقي وقلدوا حركاته ويذكر أن ملوك النصارى الصليبيين قد استمعوا للمغنيين والمغنيات العرب في قصورهم⁽²¹⁴⁾، وطالب بعضهم جواريه بتعلم الشعر والغناء والموسيقى الشرقية⁽²¹⁵⁾، وطالما سمع النصارى للموشحات والزجل العربي السائد في ذلك العصر⁽²¹⁶⁾.

ويبدو أن الحملات الصليبية في الشرق قد أوجدت عند الصليبيين المساواة والعدل والإخاء فأخذوا بالتقاليد الإسلامية في الملبس والمأكّل كما ذكرنا، وكان لوجودهم في ممالك الشام أثر في البحث عن الإصلاح الاجتماعي المنشود⁽²¹⁷⁾، وتقول المستشرقّة الألمانية هونكة Sigrid Hunke: "من يعرف نفسه ويعرف الآخرين لا بد له أن يعترف هنا أيضاً أن الشرق والغرب لا ينفصلان"⁽²¹⁸⁾، فاكتمب الصليبيون من عادات الشرق وتقاليده، وأكل الصليبيون واعتاد الكثير منهم على الطبخ والأطعمة الشامية والمصرية المحلية، فأقبلوا على التوابل الشرقية الشامية⁽²¹⁹⁾ والمشهيات والبهارات وصناعة المخللات واستخدموا زيت الزيتون في الطبخ وطهي الطعام بدلاً من دهن الخنزير، وهكذا الأشرية المتلجة والمحلاة حيث قام بعضهم بتشغيل طبابخات مصريات لهذا الغرض⁽²²⁰⁾، فيقول أحد فرسان الإفرنج لأسامة بن منقذ وقد استضافه: "فأنا ما أكل من طعام الإفرنج، ولي طبابخات مصريات ما أكل إلا من طبخهن، ولا يدخل داري لحم خنزير"، وطالما تشارك الطرفان في موائد الطعام⁽²²¹⁾.

اتبع الصليبيون الطراز الشرقي في العمران وزودوا بيوتهم بالأثاث الشرقي واستخدموا الزجاج في نوافذ بيوتهم ورسوموا بالفسيفساء على أرضيات الحجر في منازلهم⁽²²²⁾، وأخذوا عن الشرق بطراز قباب القلاع المختلفة⁽²²³⁾، وازدهرت الصناعات الشامية وخاصة صناعة الحصر في طبريا تلبية لأذواق

المسلمون على الصليبيين دخول الحمام عراة دون مؤثر ممّا كان يعد عيباً عند الإنسان المسلم، في الوقت الذي أنكر فيه الإفرنج شد المؤثر في الحمام ثم شدوه وقلدوا المسلمين في هذا، ووجد الإفرنجي المسلم وقد حلق عانته فطلب إليه أن يعمل له هذا وحتى أن يحلق لامرأته عانتها⁽¹⁹⁵⁾، وتأثر الصليبيون بعادة الاستحمام في الحمامات العامة⁽¹⁹⁶⁾.

وأخذ الطرفان عن بعضهم الاحتفال بالأعياد والاستعانة بجوقات الطرب والمغنيات، واهتمت النساء الصليبيات بالرقص الذي أخذ بالانتشار في المجتمع الشامي⁽¹⁹⁷⁾، ولبست النساء الغريب من الثياب وانتشر الغناء والرقص وشرب الخمر وتدخين الحشيش - حشيشية - عند الفقراء، ووهن الناس وفشلوا وغفلوا وكسلوا ولزموا الحيرة وعدموا الغيرة على حد قول شيخ الإسلام ابن تيمية⁽¹⁹⁸⁾، وانتشر الشذوذ والدعارة، وزادت هذه الظاهرة في المجتمع الشرقي وخاصة في العصر المملوكي، وأصبح لهذه البيوت ضريبة خاصة تسمى ضريبة المغاني، وكانت هذه الضريبة من واردات خزانة الدولة الرئيسة⁽¹⁹⁹⁾، وهكذا المكوس والخمور الرائجة عند الطرف الصليبي فانتقل بعضها للطرف المسلم⁽²⁰⁰⁾، وليست نساء الرقص والمغاني لباس خاص بهن⁽²⁰¹⁾، وانتشرت عادة الشذوذ الجنسي واللواط⁽²⁰²⁾، حتى كان نتاج العصريين الأيوبي والمملوكي خلال الحروب الصليبية على حد ذكر البعض بروز شعر الغزل في المذكر الرجل⁽²⁰³⁾، وربما اختصت الجماعات الأرمنية الوثيقة الصلة بالطرف الصليبي بالبغاء وبيع الخمور في المجتمع الشامي، وباعها رجال الإفرنج لتجار الطرفين⁽²⁰⁴⁾.

ويذكر أن نساء إفرنجيات قدمن للمنطقة للهو والترفيه في مطلع الحملات الصليبية ووصل في مراكب الإفرنج ثلاثمائة امرأة إفرنجية مستحسنة متحلية بشبابها وحسنها مترينة فوصلن وقد "سبلن"⁽²⁰⁵⁾ أنفسهن، وقدمن للتبذل، ممّا أوقع الجند المسلمين بإغراء هذه النسوة الإفرنجيات⁽²⁰⁶⁾، ويؤيد العماد الأصفهاني هذا الوضع الأخلاقي فما كان من السلطان صلاح الدين في عكا إلا أن "كبس جنده ليلاً سوق الخمارات والعواهر وسبوا عددا من المستحسنيات الفواجر"، حيث يذكر أنه قد انتشرت بيوت الدعارة في هذه المدينة، ويصف ابن جبير مدينة عكا هنا بالقول: "تستعر كفراً وطغياناً وتقور خنازير وصلباناً زفرة قدرة كلها رجس وغدرة"⁽²⁰⁷⁾، ووجدت مثل هذه الظاهرة رغم أن البابا الداعي الأول لمتل هذه الحرب قد نبه لمشاركة المرأة الصليبية بالقول: "يجب أن تعلموا أيضاً أنه إذا ذهب أي رجل منكم إلى هناك يجب أن تراعوا أن الشباب المتزوجين يجب أن يندفعوا في رحلة طويلة كهذه دون موافقة زوجاتهم"،

كانت هناك فئات اجتماعية ساخطة على المجتمع منبوذة عند الطرف الآخر تكونت من الصقالبة والمصامدة والأرمن والعرب والعبيد الزنج قاموا بدور اللصوصية والسلب والنهب، وإن ذكر لهؤلاء الأوباش واللصوص واجبات يقومون بها في المعسكر الآخر أثناء سير المعارك⁽²⁴¹⁾.

* عائلات شامية صليبية:

ترك الصليبيون عبر تاريخهم هذا أثراً اجتماعية عديدة بعد رحيلهم عن ممالك بلاد الشام ومنها تلك العائلات الشامية بأصولها الصليبية على حد قول البعض، مثل عائلة الصلوبا أو الصلايب وعائلة إفرنجية وطربية والزعني والبرنس وكرم، وذكر هؤلاء بملامحهم الأوروبية لا الشرقية أحياناً وعرفوا بزيادة ذكائهم، وانتشر وجود مثل هذه العائلات في بلاد الشام خاصة والعراق وتركيا والجزيرة العربية واليمن بشكل عام⁽²⁴²⁾، وذكر بحق الصليب أو الصلبة الساكنون في القريتين وتدمر والسخنة بأنه كانت ولا زالت لهم أعياد وعادات خاصة بهم وإن كانت ولا زالت أسماؤهم عربية خالصة، فقد يرقصون مع النساء بعادة الغرب وعندهم رطانة في اللغة، ويرفض الدكتور أحمد وصفي زكريا نسبتهم للصليبيين⁽²⁴³⁾، وتذكر عائلة صليبي كذلك وتعترف بأبي صليبي في محافظة حماة السورية وتتقسم هذه العائلة إلى أبو خضير والعكاشات والبراغلة والهلالات وأبو مرية والشهابات وأبو عرييد، هذه العوائل ربما تعطي دليلاً واقعاً على استمرار الوجود الصليبي بعد رحيله تبعاً عن مختلف الأقاليم الشامية، ابتداءً بعكا في السابع عشر من جمادى الأولى عام 690هـ/شهر أيار عام 1291م قاعدة الوجود الصليبي في بلاد الشام، ثم صور وصيدا وحيفا وأنطرسوس وعثليت حتى انتهى هذا الوجود بسقوط جزيرة أرواد سنة 703هـ/1303م في كل الممالك الشامية تقريباً⁽²⁴⁴⁾.

خلاصة

انتهت هذه الدراسة إلى ما خلاصته أن العامة وبعض الخاصة من المسلمين والصليبيين لم يكن بأصالة فكرهم ومعتقدهم خوض غمار الحروب والاقتتال إلا بقدر تلك الأوامر الصادرة إليهم من قادتهم، فإذا ما تحقق هدف قائد ما عاد الناس من كلا الطرفين لممارسة حياتهم المعيشية اليومية وهي الأهم بنظرهم، إذ ربما ضعف الوازع الديني عند البعض من كلا الطرفين، فأخذوا وأعطوا في معارفهم ولغتهم وديانتهم وعاداتهم وتقاليدهم وملابسهم ومشربهم ومأكلهم ومسكنهم وأثاثهم ومختلف سلوكياتهم اليومية، ومن خلالها كان التفاهم والتعايش والمسالمة مع الآخر والأخذ عنه رغم اختلاف المعتقد أحياناً وتباين ثقافة هذه الأطراف المتفاعلة والمتصارعة في

الصليبيين ورغباتهم⁽²²⁴⁾، ونالت المسائل العلمية في هذه المرحلة اهتمام خاص من ملوك الأيوبيين والمماليك والمجتمع الشامي خاصة رغم ظروف الحرب وانعدام الأمن في هذه الفترة، فاستعان الصليبيون بالأطباء العرب لمداواتهم في أمراضهم، وأخذوا بعقاقيرهم وأدويتهم، بعد أن كان عندهم من الجهل البائن في العلاج والمداواة، واستعان صلاح الدين الأيوبي بأطباء مسيحيين وانتشرت ظاهرة المداواة بيد الآخر في هذه المرحلة وشهد ابن منقذ بمعارف الصليبيين الطبية⁽²²⁵⁾، وأخذ الغربيون بالآلات الموسيقية وانتقلت القصص الخرافية من المجتمع الصليبي الشامي إلى العرب على نفس الهيئة كما هي في المجتمع الغربي⁽²²⁶⁾، واستعان الإفرنج بالمربين العرب لأطفالهم⁽²²⁷⁾، وانتقلت المصطلحات العلمية والفلسفية والمعرفة الطبية المجتمعية إلى الثقافة الغربية عبر هذه الحروب، حتى نظر البعض من مؤرخي الغرب الأوروبي إلى أنه ليس للإفرنج أية فضيلة إنسانية وكانوا أشبه ما يكونوا بقطاع طرق⁽²²⁸⁾.

ومما لاشك فيه أن الحروب الصليبية قد أوجدت بعض الكراهية بين مختلف الأطراف وحتى بين طبقات وفئات المجتمع الشامي المختلفة، ويبدو أن ثقافة الشتائم قد جسدت المعنى المقصود والخاص بكل طرف، فوصف الصليبيون المسلمين بأتباع الشياطين⁽²²⁹⁾، ونعتوهم بالأُمم النجسة⁽²³⁰⁾، ووسموهم في مناطق حكمهم ونفوذهم بالكلاب والكفار⁽²³¹⁾، وبالمقابل وصف المسلمون الصليبيين بالنفوس الخبيثة⁽²³²⁾، والشياطين والطواغيت⁽²³³⁾، وشياطين الأئس⁽²³⁴⁾، والبهائم⁽²³⁵⁾، وأطلق البعض من المسلمين على الملك ريتشارد قلب الأسد Richard Coeur de Lion الملعون⁽²³⁶⁾.

ويبدو أن الأمن لم يتوفر خلال هذه المرحلة من الصراع والاصطدام، فانتشر قطاع الطرق والعيارون والأوباش⁽²³⁷⁾ وللصوص وساد السطو على أموال الغير حتى من جند الدولة الإسلامية أو الصليبية في بعض ممالك بلاد الشام، وطالما تولى أمر ملاحقة هؤلاء شحنة الدولة وشرطتها⁽²³⁸⁾، ثم أوكلت مهمة إنزال العقوبة بهم عند الطرف المسلم بالقاضي بعد أن وجد بعض السلاطين مثل نور الدين زنكي وصلاح الدين أن الشحنة تخالف أحكام الشرع حيث كانت الشحنة هذه محل نقمة بعض فئات المجتمع الشامي⁽²³⁹⁾، وربما كره الناس أن يكونوا من ولاية الشحنة لتقل مهامهم فتم تجنيد رجال الشحنة في المجتمع الشامي من المولدين الذين يعتنقون الإسلام حديثاً من هؤلاء الصليبيين، وهم من غير أبناء المناطق المتولين أمرها وأمنها، وكان في مجال اهتمامهم منع الاعتداء على المسيحيين في ممالك بلاد الشام المختلفة⁽²⁴⁰⁾، وأصبح هناك خلل اجتماعي خطير في هذا المجتمع خلال هذه الحروب، حيث

بين أمراء وقادة الطرفين، وهذا ما تثبته تلك المراسلات المتبادلة الشفوية والمكتوبة بالتواصل بين الطرفين المسلم والصليبي وما أخذه كل منهما عن الآخر، وإن رجحت الكفة باستفادة الطرف الصليبي من الثقافة الحضارية العربية الإسلامية وليس العكس، وكان لهذا التفاعل الاجتماعي أثر كبير في المسيرتين الحضاريتين اللاحقتين الغربية والشرقية على حد سواء.

أحيان أخرى، وربما بهذا كله الواقع والدليل والبرهان ما يخالف ما كتبه البعض، وربما أن العلاقات الحضارية السلمية هي السمة البارزة والأغلب طيلة قرنين من الزمان عاشها المجتمعان في ظل الحروب الصليبية، وكأن المواجهة الحربية أحياناً كانت مجرد رياضة يمارسها البعض لتحقيق الوجود الفاعل والهدف المنشود ثم يعودون للتأمل في ثقافة وحضارة الطرف الآخر، فخلصت الدراسة إلى أن هناك علاقات وثيقة

الهوامش

- (14) بنيامين التطيلي، الرحلة، ص 60.
- (15) ابن القلانسي، الذيل، ص 136-137.
- (16) ابن منقذ، الاعتبار، ص 65 وما بعدها، السوري، الحروب الصليبية، ج 1، ص 195، خالد الشريدة، الإدارة الزنكية العامة في بلاد الشام، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، م 14، ع 2، ص 64.
- (17) ابن أبيك الدوادار، كنز الدرر، ج 8، ص 361، المقرزي، الخطط، ج 1، ص 73.
- (18) بنيامين التطيلي، الرحلة، ص 68-70 وأنظر براور، عالم الصليبيين، ص 118-123.
- (19) أنظر براور، ص 118-123.
- (20) ابن جبير، ص 238.
- (21) أنظر العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 333، البنداري، سنا البرق الشامي، ص 302، ابن القلانسي، الذيل، ص 137، 143-145، المقرزي، السلوك، ج 2، ص 49.
- (22) ابن القلانسي، ص 178-181، الشريدة، التنظيمات العسكرية الأيوبية، مجلة الدارة، ع 3، ص 37، ص 162-163.
- (23) ابن منقذ، الاعتبار، ص 203، العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص 67.
- (24) ابن جبير، الرحلة، ص 273-275.
- (25) ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 115.
- (26) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 150-151.
- (27) العماد الأصفهاني، البرق الشامي، ج 5، ص 153.
- (28) الفينري، تاريخ، ص 96، 97، أبو شامة، الروضتين، ج 4، ص 148.
- (29) تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 491، 503، 508-509.
- (30) ابن القلانسي، الذيل، ص 136-137، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 197.
- (31) ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 184.
- (32) ديورانت، قصة الحضارة، ص 4814.
- (33) براور، الإستهيطان الصليبي، ص 295-296.
- (34) الشارترتي، تاريخ الحملة إلى القدس، ص 138-149، وحول أعداد القادمين من أوروبا أنظر ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 136، 138، 236 ابن الأثير، الكامل، ج 10، ص 126، 129، 181، 250، ابن واصل، مفرج

- (1) أنظر سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج 8، ق 2، ص 646، كاهن. الشرق والغرب، ص 186.
- (2) للمزيد أنظر الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 18، ص 350، الشريدة، التنظيمات العسكرية الأيوبية، مجلة الدارة، ع 3، ص 37، ص 190.
- (3) أنظر تاريخ الحملة إلى القدس، ص 218، ابن منقذ، الاعتبار، ص 993.
- (4) الشريدة، المناصفات في بلاد الشام، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود/ ع 26، ص 140-141.
- (5) باركر، الحروب الصليبية، ص 113.
- (6) ابن منقذ. الاعتبار، ص 85، ابن جبير. الرحلة، ص 276-279، براور. عالم الصليبيين، ص 98-100.
- (7) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج 8، ق 2، ص 541، الشريدة، التنظيمات العسكرية الأيوبية، مجلة الدارة، ع 3، ص 37، ص 164.
- (8) ابن منقذ، الاعتبار، ص 12-14، ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 53-54، ابن خلدون، المقدمة، ص 12-14.
- (9) الشريدة، التنظيمات العسكرية الأيوبية، مجلة الدارة، ص 165 وللمزيد أنظر: السوري، الحروب الصليبية، ج 2، ص 348، ابن منقذ، ص 89، القلقشندي، صبح الأعشى، ج 1، ص 316-360، براور، ص 70-71، رمضان، المجتمع الإسلامي، ص 40، 44، 47 الحويري، الأوضاع الحضارية، ص 18-26. أحمد مختار العبادي، دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي، ضمن بحوث تاريخ الحضارة الإسلامية، ألفت في ندوة الحضارة الإسلامية 16-20 أكتوبر 1976م، مؤسسة شباب الجامعة (1997م).
- (10) وليم السوري، الحروب الصليبية، ج 2، ص 503.
- (11) Gesta Franceorum, The English translation, 90-9. 3 ابن القلانسي، الذيل، ص 136، 137.
- (12) تاريخ الحملة إلى القدس، ص 137-138.
- (13) Josiah C. Rusell. The populatin of the Crusedas, 305-306.

- الكروب، ج1، ص140.
- (35) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص136، أبو شامة، الروضتين، ج1، ص51، ص52، ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص173.
- (36) المقرئ، السلوك، ج1، ص105-106.
- (37) عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص38-40.
- (38) الشريدة، إدارة بلاد الشام، ص127.
- (39) الإعتبار، ص172.
- (40) الفيتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص105، ص106، ص107.
- (41) ابن منقذ، الإعتبار، ص246.
- (42) السوري، الحروب الصليبية، ج2، ص1016، ص1059، ص1068.
- (43) السوري، ج1، ص52-53، ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص123.
- (44) السوري، ج1، ص108، ص418، الشارترى، ص70، ص108، رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص451.
- (45) الفيتري، ص109، ص115، كاهن، الشرق والغرب، ص215، عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص205.
- (46) الشارترى، تاريخ الحملة إلى القدس، ص208، براور، الإسطبان الصليبي، ص272، Albert. D. Aix, p 644.
- (47) للاستزادة في موضوع خطر الموارد على القوى الإسلامية وتعاونهم مع الصليبيين أنظر أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، ص62-64، علي السيد، المجتمع المسيحي في بلاد الشام، ص33-35.
- (48) كاهن، ص99.
- (49) الحروب الصليبية، ج1، ص459.
- (50) مجهول أعمال الفرنجة، ص45-46.
- (51) رنسيمان، الحروب الصليبية، ج1، ص283.
- (52) مجهول، ص45، السوري، ج1، ص238-240.
- (53) السوري، ج1، ص238-240.
- (54) أنظر رنسيمان ج2، ص374، مؤنس، دراسات في تاريخ العلاقات، ص142.
- (55) البنداري، سنا البرق الشامي، ج1، ص316، الشريدة، إدارة بلاد الشام، ص108.
- (56) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص55 وللمزيد أنظر رياض صالح علي حشيش، الحركة الصوفية في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ، الجامعة الإسلامية، غزة (2005م).
- (57) Cecile. Les Croisades, p9.
- (58) ابن منقذ، الإعتبار، ص138، المقرئ، الخطط، ج1، ص263-265 كرد علي، خطط الشام، ج6، ص308.
- (59) ابن منقذ، ص196، ص202-206.
- (60) ابن منقذ ص35، النوار السطانية، ص43.
- (61) الرحلة، ص75.
- (62) أنظر المقرئ، السلوك، ج1، ق3، ص57، الشريدة، المناصفت في بلاد الشام، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص26، ص144، ص165، ص166.
- (63) القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص31-40.
- (64) نفسه، ص3.
- (65) تاريخ الحملة إلى القدس، ص65.
- (66) مجهول أعمال الفرنجة، ص113، الشريدة، التنظيمات العسكرية الأيوبية، مجلة الدارة، ج3، ص180.
- (67) السوري، ج2، ص1001، العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص170.
- (68) النقاش، العلاقات الاجتماعية، ص195 وما بعدها.
- (69) ابن شداد، النوار السطانية، ص235، خالد الشريدة، المناصفت في بلاد الشام، مجلة العلوم الإنسانية، ص26، ص151.
- (70) Angel. GonzalezHistoryde Le Espana, p18.
- (71) ابن جبير، الرحلة، ص249-252.
- (72) لنبلأ المجتمع الفرنسي الإقطاعي في ظل الحكم الملكي. أنظر ابن منقذ، ص135، براور، ص100 Baron لقب.
- (73) ابن جبير، الرحلة، ص275.
- (74) ابن منقذ، ص240.
- (75) نفسه، ص134-135.
- (76) نفسه ص196، ص303، ص206.
- (77) للمزيد أنظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص110-116، الشريدة، المناصفت في بلاد الشام، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمام، ص26، ص161-162.
- (78) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص251.
- (79) الشريدة، إدارة بلاد الشام، ص126.
- (80) ابن منقذ، ص91.
- (81) مؤنس، ص269.
- (82) جاد رمضان، أثر الحضارة الإسلامية، ص233-249.
- (83) أنظر أبو شامة، الروضتين، ج1، ص149 وما بعدها، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص381 وما بعدها.
- (84) أنظر الأصفهاني، الفتح القسي، ص80، ص206، ص289، ابن الأثير، الكامل، ج9، ص184.
- (85) ابن منقذ، الإعتبار، ص81-82.
- (86) الشريدة، التنظيمات العسكرية الأيوبية، مجلة الدارة، ج3، ص37، ص179.
- (87) الشريدة، إدارة بلاد الشام، ص109، ص279.
- (88) المقرئ، الخطط، ج1، ص269.
- (89) نفسه، ص234-235.
- (90) نفسه، ص238.
- (91) السوري، الحروب الصليبية، ج1، ص552، الشارترى، تاريخ الحملة إلى القدس، ص148، ابن القلانسي، الذيل، ص171.
- (92) الحروب الصليبية، ج1، ص471.

- (93) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 174.
- (94) ابن جبير، الرحلة، ص 273-275.
- (95) الفلقشندي، صبح الأعشى، ج 14، ص 33.
- (96) للمزيد أنظر ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص 308، أبوشامة، الروضتين، ج 1، ص 219، المقرئ، السلوك، ج 1، ص 65.
- (97) العمري، التعريف، ص 146، النويري، نهاية الأرب، ج 3، ص 320.
- (98) المقدمة، ص 183.
- (99) المقرئ، الخطط، ج 2، ص 432-433.
- (100) أنظر ابن القلانسي، الذيل، ص 137-146، براور، عالم الصليبيين، ص 72-73.
- (101) قاسم عبده، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، ص 33-35.
- (102) ابن منقذ، الإعتبار، ص 141.
- (103) الفلقشندي، صبح الأعشى، ج 7، ص 197، ج 13، ص 96.
- (104) هايد، التجارة، ج 1، ص 135.
- (105) شمس العرب تسطع على الغرب، ص 35.
- (106) الفيتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص 135.
- (107) ابن جبير، الرحلة، ص 261.
- (108) ابن الحاج، المدخل، ص 102-103.
- (109) أبو شامة، الروضتين، ج 2، ص 47، الذيل على الروضتين، ص 178، عاشور، الحركة الصليبية، ص 49.
- (110) اليسوعي، نخلة، غرائب اللغة العربية، ص 284.
- (111) الصوري، الحروب الصليبية، ج 1، ص 475، ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 144، خالد الشريدة، التنظيمات العسكرية الأيوبية، مجلة الدارة، ع 3، ص 37، ص 169، 192، 194.
- (112) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 97.
- (113) نفسه، ص 182، رمضان، جاد، أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الأوروبية، ص 233-249.
- (114) كاهن، الشرق والغرب، ص 218.
- (115) منى حماد، صورة المسلمين في المصادر اللاتينية، مجلة أبحاث اليرموك، م 13، ع 1، ص 258.
- (116) الصوري، الحروب الصليبية، ج 2، ص 977، 1069، ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 282.
- (117) ابن منقذ، الإعتبار، ص 141.
- (118) نفسه، ص 140.
- (119) الشارتر، تاريخ الحملة إلى القدس، ص 218.
- (120) كاهن، الشرق والغرب، ص 208.
- (121) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 136، 163، الحايك، العلاقات الدولية، ص 41-42.
- (122) ابن جبير، الرحلة، ص 275، وقارن ذلك في: Sigrid Hunk Le Soleid d, Alla.p20.
- (123) ليلي صديق، تأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات، مجلة حولية التراث، ع 5، 2006م.
- (124) ديورانت، قصة الحضارة، ص 4815.
- (125) ابن جبير، الرحلة، ص 74، ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 282.
- (126) سهير نعينع، التأثيرات الحضارية المتبادلة، ص 169.
- (127) أي إفرنجي مهجن أنظر براور، عالم الصليبيين، ص 220. التسمية التي تسمى بها من كان أبوه شرقي وأمه صليبية.
- (128) الشارتر، تاريخ الحملة، ص 218، عاشور، الحركة الصليبية، ج 1، ص 394، عوض، العلاقات، ص 124.
- (129) نسيم، جوزيف، العرب والروم، ص 85.
- (130) عبدالرحمن، عائشة، نساء النبي، ص 214.
- (131) ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج 4، ص 391 القيسي، محمد، موسوعة نساء حول النبي، ص 78.
- (132) ابن عذارى، البيان المغرب، ص 30، لوبون، حضارة العرب، ص 232.
- (133) S.M. Jamanudin. Some Aspects of Socio, p 186.
- (134) هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ص 530-531.
- (135) منى حماد، صورة المسلمين في المصادر اللاتينية، مجلة أبحاث اليرموك، م 13، ع 1، ص 256.
- (136) ابن منقذ، الإعتبار، ص 70.
- (137) منى حماد، ص 266.
- (138) حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص 240.
- (139) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 203، ابن واصل، مفرج الكروب، ج 2، ص 251، ج 4، ص 248.
- (140) رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص 117.
- (141) عاشور، الحركة الصليبية، ج 2، ص 882، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، ص 92.
- (142) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 318، أبو الفداء، المختصر، ج 3، ص 80.
- (143) ابن منقذ، الإعتبار، ص 166-167.
- (144) باركر، الحروب الصليبية، ص 42.
- (145) رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص 104.
- (146) ابن حوقل، المسالك والممالك، ص 78، 79، رمضان، جاد، أثر الحضارة الإسلامية، ص 233-249.
- (147) الشارتر، تاريخ الحملة إلى القدس، ص 144.
- (148) ابن منقذ، الإعتبار، ص 135.
- (149) نفسه، ص 135.
- (150) المقرئ، السلوك، ج 1، ق 3، ص 99.
- (151) ابن منقذ، الإعتبار، ص 167، 223، الصوري، الحروب الصليبية، ج 1، ص 459، 168.
- (152) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 151، 165 ديورانت، قصة الحضارة، ص 4814، عبداللطيف، الحركة الفكرية في مصر، ص 95.
- (153) ديورانت، قصة الحضارة، ص 45.
- (154) ابن جبير، الرحلة، ص 275، الشريدة، إدارة بلاد الشام، ص 109.

- (155) المقرئزي، السلوك، ج1، ص158.
- (156) للمزيد أنظر عطية، مجلس نابلس 23 يناير 1120م وأحوال مملكة بيت المقدس الصليبية، حوليات التاريخ الإسلامي والوسيط، كلية الآداب، جامعة عين شمس م1، (د. ت).
- (157) الإسمتارية هم فرسان القديس يوحنا أو فرسان أورشليم فئة إجتماعية دينية تكونت هذه الفئة لرعاية الفقراء والحجاج المرضى فأسسوا مستشفى لهذه الغاية في مدينة القدس وهم طائفة كاثوليكية بدأ نشاطهم في المنطقة عام 1050م/ 442هـ، ثم تبعوا للبابوية في روما منذ سنة 1113م/ 507هـ بقيادة جيرارد، ثم اتجهوا للأعمال العسكرية الحربية وسمح لهم بالقتال منذ عام 1136م/ 530هـ وتبع لهم عدد كبير من الجنود والحصون والأساطيل بقيادة ريموند دو بوي، وأقاموا في جزيرة رودس ثم في طرابلس في ليبيا واتخذوا لهم راية حمراء مرسوم عليها بالصليب الأبيض وكان لباسهم مئزر أسود وعلى كفه الأيسر صليب " أنظر الصوري، تاريخ، ج2، ص830، 831، الفيتري، تاريخ، ص86، 87.
- (158) القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص37-38.
- (159) Albert. d. Aix, p379.
- (160) Brundage. Prostitution mixegenation, p179.
- (161) P180 نفسه.
- (162) P179 نفسه.
- (163) نفسه.
- (164) المقرئزي، الخطط، ج2، ص280.
- (165) نفسه، ص432-433.
- (166) خالد الشريدة، المناصفات في بلاد الشام، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمام، ع26، ص152، الإدارة الزنكية العامة في بلاد الشام، مجلة كلية التربية، عين شمس، م14، ع2، ص62-63.
- (167) القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص45، 46، ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص210-211.
- (168) ابن جبير، الرحلة، ص302، ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص6، الشريدة، إدارة بلاد الشام، ص287.
- (169) نفسه، ص110.
- (170) ابن منقذ، الإعتبار، ص83، 84.
- (171) نفسه، ص139.
- (172) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص157، 167.
- (173) ابن منقذ، ص37، 64، 84.
- (174) نفسه، ص132، 154.
- (175) ابن جبير، الرحلة، ص255، أبو شامة، الروضتين، ج2، ص25، ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص267.
- (176) الصوري، الحروب الصليبية، ج2، ص731، 732، ابن منقذ، الإعتبار، ص732.
- (177) الصوري، ج2، ص682، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص221.
- (178) اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص90، براور، عالم الصليبيين،
- ص115، نولدكة، شمس العرب، ص530، ديورانت، ص4815.
- (179) أنظر الفتح القسي، ص116، 119. ابن منقذ، الإعتبار، ص137، ابن الأثير، الكامل، ج9، ص183.
- (180) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص333.
- (181) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص201، النقاش، العلاقات الاجتماعية، ص148.
- (182) القباء لباس خارجي للرجال يطوى تحت الأبط ضيق الأكمام، والشربوش لباس للرأس. للمزيد أنظر ابن الأثير، الكامل، ج10، ص214، ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص72، دوزي، تكملة المعاجم، ص286.
- (183) المقرئزي، السلوك، ج3، ص52.
- (184) ابن جبير، الرحلة، ص237، الفيتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص106، وقارن ذلك في المقرئ، نفح الطيب، ج1، ص298.
- (185) ديورانت، قصة الحضارة، ص4816.
- (186) الفيتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص106.
- (187) ابن منقذ، ص243.
- (188) المقرئزي، السلوك، ج1، ق2، ص357.
- (189) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص167.
- (190) خالد الشريدة، المناصفات في بلاد الشام، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمام، ع26، ص143.
- (191) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص249.
- (192) ابن منقذ، ص138، 165، العماد الأصفهاني، ص249، ابن شداد، ص167، ابن الأثير، ص201، 203184.
- (193) ابن منقذ، ص135.
- (194) ابن منقذ، ص136، العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص212، 590 مجهول، الحرب، ج2، ص85، 163.
- (195) ابن منقذ، الإعتبار، ص136، 137، 243.
- (196) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص143، 171، الفيتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص106.
- (197) أنظر ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص120، النقاش، العلاقات الاجتماعية، ص148.
- (198) المقرئزي، السلوك، ج2، ص661 الخطط، ج2، ص432-433، السخاوي، التبر المسبوك، ص103-104.
- (199) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص38، ج11، ص238، المقرئزي، ج2، ص360، 95، ج4، ص362، ابن الصيرفي، أنباء الغمر وأبناء العمر، ص205.
- (200) الشريدة، إدارة بلاد الشام، ص278.
- (201) المقرئزي، الخطط، ج2، ص584.
- (202) السخاوي، التبر المسبوك، ص103-104، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص239.
- (203) المقرئزي، السلوك، ج2، ص661، 662، الخطط، ج2، ص34، 139، السخاوي، ص104.
- (204) ابن منقذ، ص136 المقرئزي، ج2، ص38، الخطط، ج1،

- ص305، ج2، ص395.
- (205) سبل العيون طويلات الهدب وسبلاء من النساء التي فوق شفتها العليا شعر، أنظر المعجم الوسيط، مادة سبل.
- (206) العماد الأصفهاني، ص213، أبو شامة، ص63.
- (207) الرحلة، ص235، الفيتري، تاريخ الحملة على بيت المقدس، ص135، 136 الفتح القسي، ص211، القلقشندي، صبح الأعشى، ج10، ص107.
- (208) Brundage. Prostitution miscegenation, p172 الشارترتي، تاريخ الحملة إلى القدس، ص49، 55.
- (209) مجهول، الحرب، ص48.
- (210) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص135، 198 Singer. Arabiche and Europaische, p221.
- (211) ابن شداد، ص137.
- (212) العجاء من العصي التي فيها عُقَد والهيفاء ضامرة البطن والخصر والغناء في صوتها غُنَّة وهي صوت يخرج من اللهاة والأنف، المعجم الوسيط، مادة عجر، العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص248، 249.
- (213) عبداللطيف نعنعي وآخرون، صورة المرأة الصليبية في ظل الاحتلال الإفرنجي، ص316.
- (214) G.B. Trend Spain and portagal, p 18.
- (215) صلاح خالص، إشبيلية في القرن الحادي عشر الهجري، ص91.
- (216) Rebort. Les Troupadours, p61.
- (217) الواعي، توفيق، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص452.
- (218) شمس العرب تسطع على الغرب، ص537.
- (219) الشارترتي، تاريخ الحملة إلى القدس، ص228 علي السيد، العلاقات الاقتصادية، ص58، 59.
- (220) ابن منقذ، الاعتبار، ص140، 141، براور، الإستيطان الصليبي، ص617، 618.
- (221) ابن منقذ، ص140، ابن شداد، النوادر السلطانية، ص234-235.
- (222) براور، عالم الصليبيين، ص108، 109، النقاش، العلاقات الاجتماعية، ص146.
- (223) ديورانت، قصة الحضارة، ص4816.
- (224) علي السيد، العلاقات الاقتصادية، ص58 وما بعدها.
- (225) ابن منقذ، الاعتبار، ص172، 137، 181-182 الصفي، الوافي بالوفيات، ج9، ص40، ج21، ص377، الشريدة، إدارة بلاد الشام، ص277.
- (226) ديورانت، ص4815.
- (227) هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ص531.
- (228) ديورانت، ص4816 Gabriedi. Francesco chroniques arabs des Crreisades, pp 99-100.
- (229) منى حماد، صورة المسلمين في المصادر اللاتينية، مجلة أبحاث اليرموك، م13، ع1، ص254، 259، 260.
- (230) حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي، ص100.
- (231) الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص459.
- (232) ابن القلانسي، الذيل، ص463 وما بعدها.
- (233) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص32 وغيرها.
- (234) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص181 وغيرها.
- (235) ابن منقذ، ص131.
- (236) العماد الأصفهاني، ص32.
- (237) العيارون جمع عيار وهو الذي يتردد هنا وهناك من غير عمل، والأوباش سفلة الناس وأخلاقهم " المعجم الوسيط، مادة عير.
- (238) الشحنة جماعة يقيمها السلطان في بلد ما لضبطه " المعجم الوسيط، مادة شحن.
- (239) ابن منقذ، ص151، 153، 154، ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص235، 238، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص285، 286.
- (240) كاهن، الشرق والغرب، ص22، الشريدة إدارة بلاد الشام، ص212، رنسيان، الحروب الصليبية، م2، ص752.
- (241) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص158، 192 ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ق1، ص242، الشريدة، التنظيمات العسكرية الأيوبية، مجلة الدارة، ع3، ص163.
- (242) الخالدي، معجم قبائل الخليج في مذكرات لوريمر، ص222-228.
- (243) عشائر الشام، ج2، ص458-471.
- (244) نفسه، ج2، ص156، 179.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، ع. (ت597هـ/1201م) (1987م) البرق الشامي، تحقيق فالح حسين، مؤسسة عبدالحميد شومان، عمان، الأردن، ط1.
- الأصفهاني (1321هـ/1002م) الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق وشرح وتقديم محمد محمود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.
- ابن إياس، م. (ت952هـ/1545م) (1395هـ/1975م) بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، نشر دار فرانزشتاين،
- ابن الأثير، ع. (ت630هـ/1232م) (1383هـ-1962م) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبدالقادر أحمد طليمات، ملتزم الطبع والنشر دار الكتب الحديثة، القاهرة، مكتبة المثنى، بغداد.
- ابن الأثير (1987م) الكامل في التاريخ، ج10، تحقيق أبي الفداء عبدالرحمن القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- فيسبادن، ألمانيا، ط1، طبع دار إحياء دار الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (د.ت).
- ابن أبيك الدوادار، ع. (732هـ/1331م) (1391هـ-1972م) كنز الدرر وجامع الغرر، ج7، الدر المطلوب في أخبار بني أيوب، نشر المعهد الألماني للآثار، القاهرة.
- البنداري، ف. (643هـ/1245م) (1979م) سناء البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني 562هـ/1166م-583هـ/1187م، تحقيق فتحية النيراوي، نشر مكتبة الخانجي، مصر.
- بنيامين التيطلي، ب. (569هـ/1173م) (1365هـ/1945م) رحلة بنيامين، ترجمة عزرا حداد، المدرسة الوطنية، بغداد.
- ابن تغري بردي، ج. (874هـ/1469م) (د.ت) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.
- ابن جببر، م. (614هـ/1218م) (1907م) الرحلة المسماة تذكرة الأخبار عن إتفاقات الأسفار، مطبعة بريل، ليدن، ط2.
- ابن الحاج، م. (737هـ/1336م) (د.ت) المدخل، نشر دار التراث، (د.م).
- ابن حجر العسقلاني، أ. (853هـ/1449م) (1972م) الإصابة في تمييز الصحابة، دار نهضة مصر، القاهرة.
- ابن حوقل، م. (367هـ/977م) (1971م) المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، هولندا.
- ابن خلدون، ع. (808هـ/1406م) (1425هـ/2004م) المقدمة، تحقيق عبدالله محمد درويش، نشر دار يعرب (د.م).
- الذهبي، ش. (748هـ/1347م) (1402هـ-1984م) سير أعلام النبلاء، ج23، تحقيق بشار عواد معروف، محي الدين هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.
- ريمونداجيل Rymound D.A (1990م) تاريخ الفرنجة غزا بيت المقدس، ترجمة حسنين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1.
- سبط ابن الجوزي، ش. (654هـ/1256م) (1952م) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج8 بقسميه، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند.
- السخاوي، م. (875هـ/1427م) (1974م) التبر المسبوك في ذيل الملوك، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- أبو شامة، ش. (665هـ/1256م) (1974م) تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، دار الجبل، بيروت، ط2.
- أبو شامة (2000م) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ويليه الذيل على الروضتين، ج5، قدم له وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- ابن شداد، ب. (632هـ/1234م) (1964م) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة، القاهرة.
- الصفدي، ص. (764هـ/1362م) (1982م) الوافي بالوفيات،
- اعتناء هلموت ريتز، فيسبادن، ألمانيا، واعتناء إحسان عباس (1991م) واعتناء محمد يوسف نجم.
- ابن الصيرفي، أ. (852هـ/1448م) (1389هـ-1969م) إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر.
- ابن عبد الظاهر، م. (692هـ/1292م) (1961م) تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كمال، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1.
- ابن العبري، غ. (685هـ/1286م) (-19م) تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت.
- ابن العديم، ك. (660هـ/1261م) (1954م) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج3، عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه سامي الدهان، (د.م) ج2 دمشق، ج3 (1387هـ/1968م).
- ابن عذاري، م. (695هـ/1295م) (1948م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق سي كهلان، ليفي بروفنسال، ليدن، هولندا.
- ابن العماد الحنبلي، ع. (1089هـ/1679م) (1979م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت، لبنان.
- العمرى، ش. أ. (749هـ/1348م) (1988م) التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- أبو الفداء، إ. (732هـ/1331م) (1907م) المختصر في أخبار البشر، ج4 في 2، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ط1.
- فوشيه الشارترتي Foucher. D.C (ت ق 12م / 6هـ) تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1.
- الفيتري، ي. Vitri. J.a, y (1998م) تاريخ الحملة على بيت المقدس، ترجمة سعيد البيشاوي، دار الشروق، عمان، ط1.
- ابن القلانسي، ح. (555هـ/1160م) (1908م) تاريخ أبي يعلى المعروف بذييل تاريخ دمشق، طبع مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت.
- القلقشندي، أ. (821هـ/1418م) (1987م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج14، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- مجهول (ت ق 12م / 6هـ) (1998م) أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة.
- مجهول (2000م) الحرب الصليبية الثالثة "صلاح الدين وريتشارد" ج2، ترجمة حسن حبشي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة (د.ط).
- المقدسي، ش. (390هـ/999م) (1993م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق إبراهيم خوري، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1.
- المقري، أ. (1041هـ/1631م) (1388هـ/1968م) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- المقريزي، ت. (845هـ/1441م) (1427هـ/2007م) إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق د. كرم حلمي فرحات، عين للدراسات

حشيش، ر. (2005م) الحركة الصوفية في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ، الجامعة الإسلامية، غزة.

حماد، م. (1997م) صورة المسلمين في الوثائق اللاتينية للحملة الصليبية الأولى، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، إريد، م13، ع1.

حمادة، م. (1980م) وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1.

حمزة، ع. (1968م) الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والملوكي الأول، (دم) القاهرة، ط2.

الحوييري، م. (1989م) الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، دار المعارف: القاهرة، ط1.

الحيارى، م. (1994م) مدينة القدس زمن الفاطميين والفرنجة، مكتبة عمان، الأردن.

الخالدي، س. (1423هـ/2002م) معجم قبائل الخليج في مذكرات لوريمر، دار الثقافة للطباعة والتوزيع والنشر، قطر، ط1.

خالص، ص. (1965م) إشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، بيروت.

دوزي، ر. R. Dozy (1992م) تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة، بغداد، ج6 (1990م) ج7.

ديورانت، و. Durant. J.W (1988م) قصة الحضارة عصر الإيمان، ترجمة محمد بدران، دار الجبل، بيروت.

رمضان، أ. (1977م) المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، (دم) القاهرة.

رمضان، ج.أ. (1981م). أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الأوروبية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

رنسيمن، س. S. Runciman (1996م) تاريخ الحروب الصليبية، ج5، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط1.

زكريا، أ. (1403هـ/1947م) عشائر الشام، دار الفكر المعاص، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2.

الشريدة، خ. (1432هـ/2011م) إدارة بلاد الشام في العهد الأيوبي، دار عماد الدين للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.

الشريدة، خ. (2008م) الإدارة الزنكية العامة في بلاد الشام، مجلة كلية التربية، القسم الأدبي، جامعة عين شمس، القاهرة، م14، ع2.

الشريدة، خ. (1432هـ) التنظيمات العسكرية الأيوبية في بلاد الشام، مجلة الدارة، تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز بن سعود، الرياض، ع3، س37، رجب.

الشريدة، خ. (2012م) المناصفات في بلاد الشام، مثال من العلاقات السلمية بين الفرنج والمسلمين، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، م26، محرم 1434هـ/نوفمبر.

صديق، ل. (2006م) تأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، ع5.

والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مكتبة المنار الأزهرية، القاهرة، ط1.

المقريزي (1972م) السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتب: القاهرة

المقريزي (د.ت). كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة المثنى، بغداد.

ابن منظور، ج. (ت711هـ/1311م) (د.ت) معجم لسان العرب، 15ج، دار صادر، بيروت

ابن منقذ، م. أ. (ت584هـ/1188م) (1930م) الاعتبار، تحقيق: فيليب حتي، مطبعة جامعة برنستون: الولايات المتحدة.

النويري، ش. (ت733هـ/1332م) (1413هـ-1994م) نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد أمين، محمد حلمي محمد أحمد، مركز تحقيق التراث: القاهرة.

ابن واصل، ج. (ت697هـ/1298م) (1975م) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج1 تحقيق جمال الدين الشيال، مطبوعات دار إحياء التراث القديم، القاهرة (1953م) ج2 نفسه، المطبعة الأميرية، القاهرة (1957م) ج3، نفسه، دار القلم (1960م) ج4 تحقيق حسين محمد ربيع، مركز تحقيق التراث (1970م) ج5 نفسه

وليم الصوري William, O. T. (ت1185م/581هـ) (2003م) تاريخ الحروب الصليبية، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت.

ياقوت الحموي، ش. (ت626هـ/1228م) (1977م) معجم البلدان، دار صادر، بيروت.

اليقوي، أ. (ت284هـ/896م) (2002م) كتاب البلدان، وضع حواشيه وعلق عليه محمد أمين صناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

اليقوي، أ. (ت284هـ/897م) (1960م) تاريخ اليقوي، دار صادر، بيروت.

المراجع

باركر، آ. Barker. E. A (1967م) الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ط2.

براور، ي. J. Prawer (2001م) الإسطبان الصليبي في فلسطين ومملكة بيت المقدس، ترجمة: عبدالحافظ البنا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة.

براور، ي. J. Prawer (1992م) عالم الصليبيين، ترجمة: قاسم عبده قاسم، محمد خليفة حسين، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية والإنسانية، القاهرة، ط1.

الحايك، م. (2006م) العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ج2، تقديم د. سهيل زكار، دار الأوائل، دمشق.

حتي، ف. (1958م) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد، عبدالكريم رافق، (دم) بيروت.

حسين، ع. (1997م) مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1.

- عاشور، س. (1964م) أضواء جديدة على الحروب الصليبية، نشر دار القام، دمشق.
- عاشور، س. (1999م) الحركة الصليبية، ج2، ج1، ط5، مكتبة الأتجلو المصرية، القاهرة (1997م)، ج2، ط7.
- العبادي، أ. (1997م) دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي، ضمن بحوث تاريخ الحضارة الإسلامية، ألفت في ندوة الحضارة الإسلامية 16-20 أكتوبر 1976م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
- عبدالرحمن، ع. (1399هـ/1979م) بنت الشاطئ، نساء النبي صلى الله عليه وسلم، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1.
- عطية، ح. (د. ت) مجلس نابلس 23 يناير 1120م وأحوال مملكة بيت المقدس الصليبية، حوليات التاريخ الإسلامي والوسط، كلية الآداب، جامعة عين شمس م1.
- على أ. (1417هـ/ 1996م) العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية والإنسانية، القاهرة، ط1.
- علي، أ. ع. (1979م) المجتمع المسيحي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، جامعة القاهرة، القاهرة.
- عوض، م. (2003م) دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، (د.م) القاهرة.
- قاسم، ع. (1995م) أثر الحروب الصليبية على العالم العربي سكانيا - اجتماعيا- سياسيا، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، م1، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.
- قاسم، ع. (1981م) دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي (عصر المماليك)، دار المعارف، القاهرة.
- القيسي، م. (2005م) موسوعة نساء حول النبي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان: الأردن.
- كاهن، ك. C. Cahen (1995م) الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، سينا للنشر، القاهرة.
- كرد، م. (1925م) خطط الشام، المطبعة الحديثة، دمشق.
- لوبون، ج. G. Le Bon (1884م) حضارة العرب، ترجمة وتحقيق عادل زعيتر، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- متز، آ. A. Metz (1987م) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، الدار التونسية للنشر، تونس.
- نسيم، ج. (2000م) العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، دار المعرفة الجامعية، القاهرة
- نعني وآخرون، ع. (1997م) صورة المرأة الصليبية في ظل الاحتلال الإفرنجي، ضمن كتاب المناطق اللبنانية في ظل الاحتلال الفرنسي، منشورات فيلون، لبنان.
- نعني، س. (1999م) التأثيرات الحضارية المتبادلة بين المسلمين والصليبيين، ضمن كتاب العرب وأوروبا عبر العصور، منشورات إتحاد المؤرخين العرب، حصاد7، القاهرة.
- النقاش، ز. (1957م) العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1.
- هايد، ف. W. Hyde (1985-1994م) تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج4، ترجمة أحمد محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- هونكة، ز. S. Hunke (1969م) شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية على أوروبا، ترجمة فاروق بيضون، كمال دسوقي، منشورات المكتب التجاري للطباعة، بيروت.
- الواعي، ت. (1408هـ/1988م) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط1.
- اليسوعي، ر. (د.ت) غرائب اللغة العربية، دار المشرق العربي، ط4.
- Albert, D. A. (1879) Historia Hierosoly mitana, en R.H.C.occ tom iv, Paris.
- Angel G.P. (1932) History de La Espana Musulmana 3a.ed. Barcelona-Buenos Aires.
- Brundage, J.A. (1985) Prostitution miscegenation and Sexual purity in the first Crusades in P.W. Edbury (ed) Crusade and settlement papers read at the first conference of the society for the Study of the Crusades and Latin East and presented to R. C. smail, Cardiff.
- Cecile, M. (1973) Les Croisdes P.U.F.ze.ed, Paris.
- Gabrieli, F. (1986) Chroniques arabes des Croisades traduit par Viviana Pâques, Paris E.d. Sindbad, 2e.ed.
- Gesta, F. (1962) The English translation py Rosalind Hill, London.
- Jamaudine, S.M. (1965) some Aspects of Socio Economic and Cultural History of Muslim Spain, leiden.
- Josiah, C.R. (1985) The population of the Crusader statec University of Wisconsin Press MADISONM Wisconsin.
- Report, B. (1943) Les Troubadours et Le sentiment romanecpue, Ed.du.chene, Paries.
- Singer, S. (1916) Arabiche and Europäische poesie im mittelatter (Vissenschaften).
- Trend G.B. (1965) Spain and Portugal, in The Legacy of Islam, oxford University Press.

Reciprocal Cultural Relations between Muslims and Crusaders during the Crusades Wars

*Khaled S. Al-Shreideh**

ABSTRACT

This study investigates the foundations of civilizational communication between Muslims and Crusaders during the Crusades to the Levant and the contemporary Prince Osama bin Mughthith savior of these deceased war in 544 AH-1888 and then of the crusader William Suri, who died in 581 AH- 1185 AD and Fulcher of Chartres deceased in BC 12-6 e and traveler Ibn Jubayr, who died in 614 AH- 1218 AD, Ibn Shaddad, who died in 632 AH- 1234 AD who this war contemporary enrich and reflect more than others in this social aspect in terms of coexistence and understanding and communication between the various demographic elements that formed Shami community during the Crusades and inspired by the predominance recipe peace not war on this relationship, vulnerability and influence another between the Muslim and Crusader parties through a common language and means of addressing concerted by the friction between the parties and mating and affinity of each other sometimes and the impact of religion and belief of the parties in each other and we were the piece of material and moral heritage of mutual then we pointed to what some people taking it from each other from this positive heritage, habits and behaviors that have left their social impacts in the behavior of subsequent generations and we mentioned at the end of this research was reportedly referring some of the continued existence of a cruciform family after the departure of the Crusader forces from the region, through Shami families said to be related to the proportions since those invading Crusader campaigns in the Islamic eastern areas.

Keywords: .

* Abu Dhabi Education Council, United Arab Emirates. Received on 16/3/2015 and Accepted for Publication on 3/1/2016.